معالي الشيخ العارف بالله العالم الرباني
الحكيم محمد أختر رحمه الله

خانقاه امدادیہ اشرفیہ
گلشن اقبال کراچی پاکستان

رثاء الشيخ

فَقَدْنَا الْيَوْمَ رَأْسَ الْمُتَّقِيْنَا   كَرِيْمَ النَّفْسِ شَمْسَ الْعَارِفِيْنَا

عَلِيْمٌ بِـالأَنَـامِ وَالرَّذَائِـلِ   وَتَغْيِيرِ الأَنَامِ بِـالْفَضَـائِـلِ

لَقَدْ مَرْضَتَنِى كُنْتُ عَلِيْلًا   جَزَاکَ اللهُ يَا شَيْخِیْ جَزِيْلًا

يَقِيْنَـا كُلُّنَـا حُبًّـا لِجُـاه   وَيَدْعُوْنَا إِلٰى حُبِّ الإِلٰه

وَيَدْعُوْنَا إِلٰى حِفْظِ الْعُيُوْن   وَخَوْفِ اللهِ فِیْ كُلِّ الشُّئُوْن

تَجَرَّعْنَـا لَاخَوْفِ وَ بَأْسِ   شَرَابَ الْحُبِّ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسِ

دَعَانَا بِـالْخُلُوْصِ وَالتَّرَحُّم   وَأَوْصَانَا بِأَعْمَالِ التَّكَرُّم

تَجَنَّبْ يَا أَخِىْ كُلَّ الْمَعَاصِى   فَهٰذَا الشَّارِعُ بِاللهِ وَاص

فَلَا تَتْرُکْ حَلَالًا إِنْ اَرَدْنَا   وَلَاتَعْمَلْ حَرَامًا إِنْ وَدِدْنَا

فُؤَادِی لَاتَرٰی لِلشَّيْخِ نِدًّا   لِيَنْتَا عَنِ الْأَتْيَانِ إِذًا

فَيَبْكِيْکَ الزَّمَـانُ وَالأَنَـام   وَيَبْكِيْکَ الْعُصَاةُ وَالْكِرَام

فَقَلْبِیْ يَدْمَعُ دَمْعَ الدِّمَـاءِ   فَقَدْنَا الْيَوْمَ رَأْسَ الأَوْلِيَاءِ

تَرَحَّمْ رَبَّنَا خُذْ بِالنَّوَاصِى   إِذَا مِلْنَا إِلٰى رِجْسِ الْمَعَاصِى

وَثَبِّتْنَا عَلٰى الْهَدْيِ الْعَدِيْل   تَعَلَّمْنَا مِنَ الشَّيْخِ الْجَلِيْل

(الشیخ محمد ارشاد اعظم)

تم تعريبه وتحقيقه وتخريج أحاديثه بإشراف

سماحة الشيخ الحكيم محمد مظهر دام ظله العالي

عن الكتاب

اسم الكتاب : أسرار الحياة الزوجية السعيدة.

اسم المؤلف : معالى الشيخ الحكيم محمد أختر رحمه الله تعالى.

اسم المرتب : شيخ الحديث محمد أيوب السرتي.

تاريخ النشر : ١٤٣٨هـ، الموافق ٢٠١٧م.

الناشر : المكتبة المظهرية ـ جلشن إقبال (٢)، كراتشي ـ باكستان.

صندوق البريد : 11182رقم الهاتف: +92.21.34972080،+92.316.7771051

موقعنا على الانترنت : www.khanqah.org

بين يدي القراء

تضمن المكتبة المظهرية بأن جميع المنشورات التي تنشر باسم معالي الشيخ العارف بالله الحكيم محمد اختر رحمه الله، فإنها تشتمل على ملفوظاته وخطبه ومواعظه، وأي كتاب ينشر بغير إذن خطي منا، فلا نضمن صحة نسبته إليه ألبتة.

كما أننا لا نألو جهدنا في إخراج الكتب بصورة متقنة ـ ما أمكن ـ، كما أنه يتم إخراج الكتاب بصورة نهائية بعد المراجعة والتدقيق التام، ويشرف على هذا العمل العظيم مجموعة من العلماء والمدققين المشهود لهم بالخير.

لكننا نرجوا من الإخوة القراء: أن يعلمونا بالأخطاء إذا وجدوا ذلك أثناء القراءة، كي نستدرك عليها في الطبعات القادمة.

ابو سلمان

(حفيد معالي الشيخ)

المشرف العام لدار النشر الإمدادية الأشرفية

منهج التعريب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد قمنا بترجمة هذا الكتاب وتعريبِه على ضوء المنشورات التي تنشرها المكتبة المظهرية من مؤلفات شيخ مشايخنا: سماحة الشيخ الحكيم محمد أختر رحمه الله تعالى، وحاولنا في ذلك:

أولا: التقييد بمفهوم كلام الشيخ، وعدم الخروج عنه إلا لضرورة.

ثانيا: توثيق الكلام من المصادر المتاحة، وتخريج الأحاديث والآثار.

ثالثا: اختيار اللغة الأقرب إلى مفهوم العامة، مع مراعاة عدم الخروج من الفصحى إلى اللغة العامية.

رابعا: وضعنا إضافات بين القوسين []، لا بد منها لتوضيح كلام الشيخ، وتيسير الفهم.

ونحمد الله على أن وفَّقنا لهذا العمل الجليل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المعرب

أبو فارس الأيوبى

خادم الكتاب والسنة

مقدمة المرتب

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد

فإن الزواج من أعظم النِّعَم الربانية، والمننِ الإلهية، التي امتنَّ الله تعالى بها على عباده، ودلَّ بها على فضله، به يحصل المرء على راحة في البدن، وسكونٍ في النفس، وفرحة ومسرَّة، وبرَكة، يجعل حياة المرء أنموذجًا حيًّا لنعيم الآخرة.

وجعل الله تبارك وتعالى كلًّا من الزوجين رفيقًا للآخر، وجعل لكل منهما حقوقًا على الآخر، لتتكوَّن بذلك أسرةٌ مثاليّة، تضمن لكل فرد من أفرادها حقوقًا ومبادئ عادلة، مصداقًا لقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[(١)]

وفي ضوء هذه الإرشادات الإسلامية الوضَّاءة، قضى آلاف مؤلفة من المسلمين حياتَهم الطيبة والطاهرة، ثم ارتحلوا إلى دار الآخرة.

ولا زالت هذه الإرشادات الطيبة تضيء منارها لمن استضاء بها دِربه، وجعلها منار رشد وهداية لحياته المطهرة، إلا أن هذا العصر المليء بالفتن أدخل بضوئه المزيّف، عاداتٍ وتقاليدَ وأعراف في الحياة الزوجية، جعلتها حياة نكَدٍ وشقاء وتعب، فصارت أشبه بحياة الجحيم ـ والعياذ بالله ـ

فكثيرًا ما نجد: أنه لا يمضي أحيانًا سوى أشهر قليلة على الزواج، حتى ترفَع أصوات الخصام من بيوت العرسان، بل إن الأمر يصل أحيانًا: إلى انهيار الأسرة، فيقع الطلاق بعد سنوات عدة من الزواج؛

---

(١) البقرة: ٢٢٨

بعد أن رزِقوا الأولاد، مما يسبب عداوةً دائميّة بين الأُسر، تجعل كل أسرة منهما عدوَّة للأخرى، مما يؤدي إلى الانهيار الأسَرِي، والانتشار الفكري، وقد نسمع بمثل هذه الأخبار يوميًّا، كما أن كثيرًا من الأسَر، تعتبر مصداقًا لقول هذا القائل:

ما أحرق البيت إلا شرارة شَمعة | طارت من القنديل في الأجواء

قد عُلِّقَت لِتُنِير درب حياتهم | فكان فيه حتفٌ لكلِّ أولاء

وفي مثل هذه الحالة: وجدنا ضرورة مُلِحَّة إلى وجود رسالة مفيدة، تعِين على معرفة كيفية إقامة المحبة والمودة بين الزوجين، يُبيَّن فيها: أن من ضرورة النكاح: البقاء والدوام، وأن الله سبحانه وتعالى يحب إقامة هذه العلاقة، ويطلب من العباد استدامتها، كما قال رسول الله ﷺ:

((لم أر للمتحابَّيْن مثل النكاح))[٢]

ورغَّب في النكاح، فقال: ((تزوَّجوا الوَدودَ الولودَ))[٣]

وقال الله تبارك وتعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٤]

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠٣٧٧)، باب وجوب النكاح وفضله، سنن سعيد بن منصور (٤٩٢)، باب الترغيب في النكاح، مسند أبي يعلى الموصلي (٢٧٤٧)، قال المحقق: رجاله ثقات، إلا أنه مرسل.

(٣) سنن أبي داود (٢٠٥٠) باب النهي عن تزويج من يلد من النساء، سنن النسائي (٣٢٢٧)، باب كراهية تزويج العقيم.

(٤) الروم: ٢١

وجعل الطلاق ـ الذي هو ضد النكاح ـ من أبغض الحلال إليه، فقال ﷺ:

((أبغض الحلال إلى الله تعالى: الطلاق))[٥]

كما أنَّ من أحب الأعمال إلى الشياطين: التفريق بين الزوجين، وإيقاع العداوة بينهما، ومن أبغض الأشياء إليه: الزواج، فهو يود أن لوتخاصم الزوجان، فتنحلُّ عرى الأسرة، وينهار الفريقان، وتحرَم الصغار من شفقة الأبوين وتربيتهما، وتقع الفحش والعداوة والبغضاء بين الأسرتين.

ومعالي الشيخ الحكيم محمد اختر رحمه الله، كان من مشايخ أهل الحق، الذين استفاد العالم بفيوضه وإفاداته، كما أن كبار العلماء في جميع أنحاء العالم انخرطوا في سلسلته، وبايعوه، ومواعظُه الحسنة ـ رحمه الله ـ أظهر مثال لما كان يحمِل في قلبه من المحبة الإلهية التامة، وإن مواعظه مفيدة لجميع طبقات الناس، من الخاصة والعامة، تحمل في طيّاتها حِكَمًا كثيرة، تشتمل على إصلاح المجتمع، وتزكيةِ النفوس، وتحليتِها بالأخلاق الحسنة، وسدِّ أبواب الفواحش والمنكرات.

وبناء على هذا فإن سلسلة المواعظ المطبوعة باسم: «مواعظ ألمَ المحبة» برقم: ٧، ٨، ٦٣، كانت تشتمل على ما يتعلق بإصلاح المعاشرة الزوجية، وتحويل بيت المسلِم من الجحيم إلى النعيم، فأحببت أن أجمع هذه المواعظ في رسالة مستقلة، كي تعم فائدتها لكل من أراد حياة زوجية سعيدة متكاملة.

وأتمنى من الله سبحانه وتعالى: أن يجعل هذه الرسالة سببًا لتأليف كثير من القلوب المختلفة، وتقريب الأفئدة المتباعدة، وذلك

---

(٥) سنن أبي داود (٢١٧٨) باب في كراهية الطلاق، سنن ابن ماجه (٢٠١٨)، كتاب الطلاق.

بفضل الأسلوب المشفق التي اختارها شيخنا ومرشدنا، في بيانِ الأحكام الزوجية السعيدة، والقصص المؤثرة في هذا الباب.

وهذه الرسالة ـ كما سبق ـ تأليف من مواعظ متفرقة لشيخنا، عملت على جمعها في رسالة مستقلة، وتفصيل هذه المواعظ كالتالي:

اسم الموعظة	مكان إلقاء الخطبة	تاريخها
الحياة الزوجية السعيدة	خانقاه كلشن اقبال	١٧اغسطس ١٩٩٠م
حقوق النساء	دار العلوم آزاد ول أفريقيا	٣٠يناير ١٩٩٠م
حقوق الرجال	لينشيا ـ جنوب أفريقيا	٢٦فبراير ١٩٩٠م

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يرزقه قبولًا لدى العامة والخاصة، ويجعله سببًا لانتفاعهم في الدنيا والآخرة، وجعله سببًا لرفع درجات شيخنا ومرتِّبه ومعرِّبه. آمين.

والسلام

محمد أيوب السرتي

٣/ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ جمعة المبارك.

نزيل المدينة المنورة، زادها الله شرفًا وتكريمًا.

كيف تقضي حياة ممتعة بعد الزواج؟

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد

فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٦)

وقال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٧)

وقال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٨)

وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(٩)

---

(٦) آل عمران: ١٠٢

(٧) النساء: ١

(٨) الأحزاب: ٧٠، ٧١

(٩) النساء: ١٩

وقال رسول الله ﷺ:

((النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي))(١٠)

وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه:

((فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))، متفق عليه(١١).

وقال ﷺ: ((إن أعظم النكاح بركة: أيسره مؤونة))(١٢).

وقال ﷺ:((المَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ))، متفق عليه(١٣).

وورد في بعض الأخبار: «يغلبن كريمًا ويغلبهنّ لئيم، وأحب أن أكون كريما مغلوبا، ولا أحب أن أكون لئيما غالبا»(١٤).

وبعد:

فإن من مظاهر عناية القرآن الكريم بموضوع الأسرة والزواج، أن شغلت التشريعات الخاصة بها مساحة واسعة من آية، في تفصيلٍ وتدقيقٍ محكمَين، مع حرصٍ كبيرٍ على أن يلف هذه التشريعات جوًّا من التوادّ والرحمة، والأمرِ بالتقوى، ومراعاةِ حدود الله، مما يشعر بضخامة

---

(١٠) سنن ابن ماجه (١٨٤٦)، كتاب النكاح، باب ما جاء في فضل النكاح.

(١١)صحيح البخاري (٥٠٦٣)، كتاب النكاح، باب في الترغيب في النكاح، وصحيح مسلم (١٤٠١)، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح.

(١٢) مسند أحمد (٢٤٥٢٩)، وفي رواية عند النسائي والحاكم: ((**أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة**))، السنن الكبرى (٩٢٢٩)، والمستدرك للحاكم (٢٧٣٢)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

(١٣) صحيح البخاري (٥١٨٤)، كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء، وصحيح مسلم (١٤٦٨)، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

(١٤) ينظر: روح المعاني (١/ ٤٦١).

شأن الأسرة في النظام الإسلامي، وأن الزواج شراكة مادية وأدبية، تتطلب مؤهَّلاتٍ شتَّى.

وسأحاول في هذه العجالة: أن أفسر هذه الآيات على طريق اللفّ والنشر المرتّبين، كالتالي:

ما هي درجة الكمال في التقوى؟

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾(١٥)

فقوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، يشير إلى أن مطلوب الشرع: الوصول إلى درجة الكمال في التقوى، وأن مجرد التقوى ليس كافيًا في ذلك، وهو مطلوب الشارع عزوجل، فلذا طلِب من الخلق: أن يتقوه حق تقاته، ويختاروا كمال التقوى.

ومن البديهي أن يسئل: ما هو حق التقوى المطلوب في هذه الآية؟ ولا شك أن تفسير الآية له مراتب، فأولى مراتب التفسير: هو تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم الاعتماد على كلام السلف في تفسير الآية، فلا ينبغي تفسير القرآن بالرأي المجرد، فلذا سأحاول أن أجيب عن هذه الأسئلة من خلال كلام المفسرين المتقدمين، يقول معالي الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله في تفسيره العظيم «بيان القرآن» مفسرًا هذه الآية: «أي: كما أنتم تركتم الكفرَ والشركَ، اتركوا المعاصي كلَّها»، وذلك لأن من اتقى الكفر، والشرك، ولم يترك المعاصي، فإنه لم يؤدّ حق التقوى، فالمراد بحق التقوى في هذه الآية: أن

(١٥) آل عمران: ١٠٢

تجتنبوا المعاصي كلّها، كما أنكم تجتنبون الكفر والشرك بالله، فاتركوا جميع أنواع المعاصي.

خلق الإنسان وأشكاله الثلاثة

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِىْ تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١٦)

فقوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾، خطاب للإنسانية بأكملها، خاطبهم بملازمة التقوى، ممتنًّا عليهم بخِلقتهم الأولى، فقال:﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ﴾، يقول معالي الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة ثلاثة أقسامٍ لخلق الإنسانية، فقال: ﴿الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ﴾، يعني: آدم عليه الصلاة والسلام، فخلَقه من تراب، لا من الأبوين، كما خلق سائر الناس بهذه الأسباب والوسائل، فهذا إظهارٌ لقدرة الله عزوجل في الخلق، فهو غني عن الأسباب، لا حاجة له في ذلك، لا يعجز عن خلق ذي الأرواح من جماد، فاتقوا الخالق الذي لا يعجز عن أيِّ شيء، فهذا هو القِسم الأول لخلق الإنسان، أي: خلق ذوى الأرواح من الجماد.

ثم قال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، أي: خلق زوجته حواء من آدم عليهما السلام، وهذا هو القسم الثاني لخلق الإنسان، فالله تعالى قادرٌ على أن يخلق ذا الرواح من ذي الروح، من غير اختلاط الرجل والمرأة،

(١٦) النساء: ١

كما خلق حوّاء من ضِلَع آدم عليهما السلام.

ثم قال: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾، أي: ثم خلق الخلق من آدم وحواء عليهما السلام، وهذا هو القسم الثالث لخَلْق الإنسان، ثم أجرى هذه السنة إلى يوم القيامة، فجعل منهما رجالا كثيرا ونساء، حتى عمَّت الخليقة أرجاءَ الأرض، لا يزرقهم إلا الله.

فائدة: من العَبَث أن يفكّر الإنسان في تحديد النسل، فالذي نفخ الروح في الجسد، هو الذي يقدِّر الأرزاق، إنَّ نفخ الروح في الجسد الميِّت، لهو أعظم من مئات الآلاف من لقمة العيش، ذلك لأنه إذا خرجت الروح من الجسد، فلا يستطيع أحد أن يردها إلى الجسد مرة أخرى، ولو حاول الأطباء وأهلُ المستشفيات أن يفعلوا ذلك، لما قدروا عليه، أما الرزق: فإن الله تعالى أعطى الإنسان قدرةً للسعي في الحصول عليه، فالغبيّ من ينخدع بشعارات أهل الكفر، الذين ينادون بتحسين المعيشة الاقتصادية، وتحديد النسل والذرية.

ولله دَرّ الشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله، حيث قال ذات مرة: «انظروا إلى الغنم والبقرة، تُضَحَّى بها في كل سنة بمئات الآلاف، ومع هذا لا نجد أيَّ عَجزٍ في كمياتهم سنويًّا، بخلاف الكلاب والخنازير، لا يُضحَّى بهم، ومع هذا لا نجدهم إلا شذر مذر، لا بارك الله فيها، بخلاف الأولى، فإنها الله بارك فيها، لأجل أنها تضحَّى بها لله».

وقال بعض الهندوس ذات مرة في حضرة معالي الشيخ التهانوي رحمه الله: «انظروا إلى شقوة المسلمين، كيف يضعون سِكِّينة على رقبة الحيوانات»، فأجاب الشيخ رحمه الله: أن ذبح الحيوانات من غير ذكر اسم الله عزوجل عليها، سببٌ لإيذاء الحيوانات، لكن إذا ذكرت

التسمية عند الذبيحة، فإنها تطرب من سماع هذا الاسم، وتجعل نفسها فداء لهذا الاسم العظيم، وحُقَّ له ذلك، ولله درُّ القائل:

سماع اسمك للعاشقين ملاذ   وفداء نفسك للمحب تمام

وينقَل عن أصحاب رسول الله ﷺ، أنهم إذا أصيبوا بسهم في سبيل الله عزوجل، لم يكن نداؤهم إلا: «فزت ورب الكعبة»، فكل المصائب في سبيل الله جَلل، ولأجل هذا يجب على الإنسان أن يتعلم حب الله عزوجل، فمن حصلت له محبة الله، فإن الدنيا لا تساوي عنده جناح بعوضة.

التخوف من ضياع حقوق الأقارب

يقول الله تبارك وتعالى:﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، فقوله:﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾، أي: اتقوا الله الذي يسأل به بعضكم بعضًا، فيقول: «سألتك بالله أن تقضي هذه الحاجة، يرجو بذلك إجابة سؤاله»، والمعنى: اتقوا الله الذي تُعظِّمونه، وتسألون به صلةَ الأرحام، فلا تضيِّعوا حقوقها، وأدوا الحقوق إلى أهلها، وذلك مثل حق الأهل والأولاد، وغير ذلك.

ما المراد بالأرحام في هذه الآية؟

يظن البعض: أن الأرحام يقتصر على قرابة الوالدين، والإخوة والأخوات، وذلك مثل الأبوين، والأخوين، والجدين، والجدتين، ويظنون أن قرابة الزوجة ليست من الرحم، وهذا تصور خاطئ، وقد أكَّد الآلوسي رحمه الله على هذا المعنى، فقال:

«المراد بالرحم: الأقارب، ويقع على كل من يجمع بينك وبينه نسبٌ

وإن بعُد، ويطلق على الأقارب من جهة النساء»[١٧].

وذلك مثل: أم الزوجة، ووالدها، وإخوانها، فيدخل في الرحم: كلٌّ مِن الأبوين، والأخوين، والجدين، والجدتين، وأبوي الزوجة، وجَدَّيها، وإخوتها، فمن لم يصل رحم هؤلاء، فإنه سيسأل عنه يوم القيامة ـ إذا لم يؤدّ حقوقهم ـ، فينبغي للمسلم ألَّا يتغافل عن حقوقهم جميعًا، فإن صلة رحمهم كمن يصل أبويه وإخوته، وللأسف فإن عامة الناس يوقِّرون آباءهم وأمهاتهم، لكنهم يتغافلون عن حقوق أبوَي الزوجة وأقاربها، وحقوقُهم ليس بأقلّ من حقوق الأبوين، والله أعلم.

الإحسان إلى العباد

إن مقام الإحسان مقامٌ رفيعٌ، فهو غاية مراد الطالبين، ومنتهى قَصْد السالكين، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

الإحسان خُلقٌ جميل، وهو دليل على النبل، واعترافٌ بالفضل، وعرفانٌ للجميل، وقيامٌ بالواجب، واحترامٌ للمنعم، ينبع عن الصفاء، وينطق بالوفاء، ويترجم عن السخاء؛ بالإحسان يشُترى الحب، ويخُطب الودّ، وتكسَب النفوس، ويُهيمِن على القلوب، وتستَعْبَد الأفئدة، الإحسان عطاء بلا حدود، وبذل بلا تردد، وإنعام دون مَنٍّ، وإكرامٌ لا يلحقه أذى.

فالمحسن لا يؤذي أحدًا، فإن آذاه أحد عفا وصبر، وصفح وغفر، وإذا عامل الناسَ، عاملهم بالفضل والإحسان، فيعطيهم وإن منعوه، ويَصِلهم وإن قطعوه، ويمنُّ عليهم وإن حرَموه.

وينبغي للمسلم: أن يكون محسنًا مع جميع الخلق، أقاربِهم

(١٧) روح المعاني (٢/ ٣٩٦).

وأباعِدِهم، لكن يتأكد ذلك في حق الأقارب، والأرحام، وعلى سبيل المثال لا الحصر: لو مرضت أم الزوجة، وطلبت من زوج ابنتها أن يترك ابنتها عندها تستأنس بها، فلا يحق للزوج أن يمنعها من ذلك، بحجة أنها امرأتُه، وأن له الحق في أن يحبسها في بيته، محتجًّا بقول الله تبارك وتعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (١٨) بل إنه يخالف مبدأ الإحسان والعدل، ولا خُلُق لمن يفعل ذلك بأقاربه، بل إن مبدأ الإحسان أن يسعى في خدمتها ما أمكن بنفسه، وبمن يملك زمام أمورهم، من زوجة وأولاد، وأموال وخدم، كما إذا مرضت أمه، كيف يفعل؟

إن الأم التي تربي ابنتها عشرين سنة في بيتها، هل تسقط حقها بمجرد الزواج؟ إنها لقساوة وشقاوة: أن تمنعها من أن تتمتع بابنتها، وخلُق المسلم: ألَّا يحوِجها إلى ذلك، بل يقدِّم نفسه لخدمتها، قبل أن تطلب ذلك منه، وأن يعتبرها أمًّا، ولا يناديها إلا كما ينادي أمه بحنان، لأنها تصدَّقت عليه بفلذة كَبِدِها.

الإحسان إلى الزوجة

وينبغي أن يعاملَ زوجتها بالإحسان والفضل، والرحمةِ والشفقة، ويعاملها المعاملة التي يتمنى أن يعامَل بها أخته أو ابنته، ومن يعاني من شدة الغضب، فعليه أن يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» سبعًا، ثم يتفل على طعامه، فإنه يُشفى من هذا المرض العضال، بل إنه لو قرأ هذا الورد، ثم نفخ في القِدر، فإن كل من يأكل من هذا القدر، سيكون مظهرًا من مظاهر رحمة الله عزوجل، وتعم شأن الرحمة والشفقة في أرجاء البيت.

---

(١٨)النساء: ٣٤

وقبل أيام جاءتني رسالة شخص من جدة، يشكو فيها معاناته من غضب أهله وأولاده، فأشرت عليه بأن يقرأ البسملة سبعًا، ثم يُنفخ على الطعام قبل الأكل، وأن يقرأ كل شخص في البيت هذا الورد «يا الله، يا رحمان، يا رحيم»، قدر ما يستطيع، ومن يعاني من شدة الغضب، فإنه يأخذ كأسًا من الماء البارد، ويضع فيه ملعقة من غلوكوز، ويعصر فيه ليمونًا، وثلاث ملاعق من أسبغول، فهو علاج لحدة الدم، ويشرب منه كل يوم، فجاءتني الرسالة من نفس الشخص بعد شهر: بأن الطمأنينة عمت أرجاء البيت ـ ولله الحمد ـ، وذكرني بدعوات خاصة.

ذم الغضب

إن الغضب شعلة نارٍ، اقتبِست من نار الله الموقَدة، التي تطَّلع على الأفئدة، وإنها لمستكنَّةٌ في طيِّ الفؤاد استكنانَ الجمر تحت الرماد، ويستخرجه الكِبر الدفين في قلب كل جبار عنيد، كاستخراج الحجر النارَ من الحديد، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين: أن الإنسان ينزع منه عرقٌ إلى الشيطان اللعين، فمن استفزته نار الغضب، فقد قويت فيه قرابة الشيطان، حيث قال:﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾(١٩) فإن شأن الطين: السكونُ والوقارُ، وشأن النار: التلظي والاستعار، والحركةُ والاضطراب، ومن نتائج الغضب: الحقدُ والحسد، وبهما هلك مَن هلك، وفسد مَن فسد.

وإن من مفاسد الغضب: فسادُ الأسَر، والتفريقُ بين المحبِّين، وتشتتُ الأولاد، وهدرُ المال، وأتذكر قصة حصلت معي شخصيًّا، وذلك

(١٩) الأعراف: ١٢

أن شخصا دقَّ عليّ الباب متأخرًا في الليل، ففتحت الباب، فإذا هو يلتمس مني عذرا، فسألته عن حالته، فقال: طلقت زوجتي ثلاثًا، وكنت في شدة الغضب، فلما سكن فؤادي، ندمت على فعلتي، وضاقت بي الأرض بما رحُبت، وإذا نظرت إلى أولادي الصغار، وحداثة سنهم، شق علي، وتذكرت ما كان بيني وبين زوجتي من المودة والشفقة، فماذا أفعل؟

فقلت له: قد خرج السهم من الرمية، لو كنت مصرًّا على الطلاق، لطلقتها تطليقة أو تطليقتين، ليتسنى لك حق الرجوع، فقال لي: صرت مجنونًا عند الغضب، فقلت له: فالآن تحمَّل عاقبة جنونك، وقد قال النبي ﷺ: ((ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلَاقُ، وَالرَّجْعَةُ))[٢٠]، فالطلاق واقعٌ في كل الأحوال، جدًّا كان أو هزلا، أو غضبًا.

وتذكرت قول صديقنا الدكتور أحسن ابن الدكتور عبد الحي العارفي رحمه الله، وكنت معه ذات مرة، فقال لي: «الغضب ليس مجنونًا أبدًا، بل إنه من أعقل العاقلين»، فسألته كيف ذلك؟ فقال لي: «ألا ترى الغاضب إذا وجد ضعيفًا أمامه، يهدده، أما إذا رأى خصمه أقوى منه، صار يتضرَّع له، ويتوسَّل إليه، ويعده بأن لا يعود إلى الخطأ مرة أخرى».

وقبل أيام حصلت ذات قصة مع الملاكم الشهير: محمد علي كلاي رحمه الله، فإن زوج أخته كان يضرب زوجته، فإذا بهذا الملاكم دخل عليهما، وأشهر لكمتَه في وجهه، فصار يرتعد خوفًا منه، وصار يتوسَّل إليه بأنه لا يعود إلى فعلته هذه مرة أخرى.

---

(٢٠) سنن أبي داود (٢١٩٤)، كتاب الطلاق، باب في الطلاق على الهزل، وسنن الترمذي (١١٨٤)، أبواب الطلاق، باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق، وقال: «حديث حسن».

فلماذا لم يصل إلى الجنون في هذه الحالة!! وهذه دلالة واضحة وقوية على أن الغضب ليس مجنونًا أبدًا، وإنما النفس تجرء على الضعفاء، لا على الأقوياء، فليس هناك شيء أعقل من الغضب.

علاج الغضب: مراقبة الله عزوجل

إن دوام مراقبة الله عزَّ وجلّ، يحصن المرء من فقدان السيطرة على نفسه عند الغضب، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: «كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت من خلفي صوتًا: ((اعلم، أبا مسعود، اللَّهُ أقدر عليك، منك عليه))، فالتفتُّ، فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: «يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله»، فقال: ((أما لو لم تفعل، لَلَفَحَتْك النار ـ أو لمستك النار ـ))، رواه مسلم[٢١]

فثبت بهذا: أن مراقبة الله عزوجل من أعظم أسباب السيطرة على الغضب.

أسباب الوقاية من غضب الله

ورد في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، كَفَّ الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ عَذَابَه))[٢٢].

ولما قال أبو بكر رضي الله عنه في غضبه: «وَالله لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ الله:

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَّغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ﴾[٢٣]

---

(٢١) صحيح مسلم (١٦٥٩)، كتاب الأيمان، باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده.

(٢٢) الأحاديث المختارة (٢٠٦٦)، وقال: «إسناده حسن».

(٢٣) النور: ٢٢

فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا»[٢٤].

مغفرة الله عزوجل لعبد عفا عن زوجته

يُذكَر أن امرأة أخطأت، فوضعت قَدرًا زائدًا من الملح في الطعام، فلما أكله الزوج، ثار غضبه، لكنه تذكَّر قدرة الله عزوجل، فصمم على أن لا يعاتبَها، وقال في نفسه: «إنها أمة الله»، انظروا إلى هذا الشخص كيف تذكَّر في حال ثوران غضبه: أنها أمة الله عزوجل، وكانت زوجته، لكنها قبل ذلك كله: أمة الله، وللأسف فإن كثيرًا من الناس ينسَون هذا الأمر في حال غضبهم، ويظنون أنها مجرد إنسانة، عقد عليها عقد النكاح، بل ينبغي أن يستحضر في نفسه دائمًا: أنها أمة الله، وأن الله يراه من فوق سبع سماواته، فلا يصدر منه شيء يُغضِب الله عزوجل، فقد رأيت أناسًا كثيرين لم يكونوا يبالون بهذا، فعوقبوا في الدنيا عقابًا شديدًا، منهم من أصيب بالفالج في آخر حياته، يبوْل ويتغوَّط في فراشه، أو أصيب ببلايا أخرى، فإن عقاب الظلم شديد.

ولنرجع إلى كلامنا: أن ذلك الشخص عفا عن زوجته، ولم يعاتبها، فلما توفي وانتقل إلى رحمة الله عزوجل، رآه شخص في المنام، فسأله: ما فُعِل بك؟ فقال: قال لي ربي: إنك غضبت يومًا على زوجتك لأجل الملح في الطعام، لكنك تذكرت في ثوران غضبك أنها أمَتِي، فعفوتَ عنها لطلب مرضاتي، وأنا اليوم أعفو عنك.

هذه القصة ذكرها معالي الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله في

(٢٤) صحيح البخاري (٤٧٥٠)، كتاب التفسير.

مواعظه ـ وهو عالمٌ جليلٌ، و محققٌ نبيل ـ فيجب على المرء أن يعزم أمره في حق أهله وأولاده، وأقاربه، وفي حق أبويه على وجه الخصوص، وأَن لّا يقع معهم في المخاصمة والمنازعة أبدًا، لأن دعوة الوالدين مستجابة، ولا يموت المرء دون أن يرى آثارها، وفي الحديث:

((كل الذنوب يؤخِّر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة، إلا عقوقَ الوالدين، فإن الله تعالى يعجِّله لصاحبه في الحياة قبل الممات))[٢٥]

قصة عجيبة لعقوق الوالدين

لقيت أحد الأولياء في مدينة ومباي، كان رحمه الله من الأولياء، لكنه أخطأ ذات يوم، وذلك أن أمَّه وزوجته كانتا تتشاجران في أمرٍ مَّا، فجنح إلى زوجته، وزجر أمَّه، فدعت عليه بأن الله يحرِمه من المشاركة في جنازتها، وأَن لَّا يموت إلا بالجذام، فرأيته قد أصيب بالجذام في آخر حياته، فسألته عن ذلك، فقال: هذه دعاء والدتي عليّ، ولم أستطع المشاركة في جنازتها، فهذا عين ما رأيته من عقوبة العقوق، فلذا يجب الحذَر من عقوقهما.

حق المعلم والمربي

وينبغي للمتعلم: أن لا يضيِّع حقوق المعلمين، الذين تعلَّم منهم الدِّين، فقد رأيت بعضَهم يُعرِضون عن مشايخهم، فيغيبون عنهم شهرًا أو شهرين أو ثلاثة، وبعضهم يغيب لعدة أشهر، ومنهم من ازداد غيابه لأكثر من ثلاث سنوات، لكن ينبغي للمسلم: أن يحفظ حق معلِّمه إلى يوم القيامة، ويُروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «من علَّمني

(٢٥) المستدرك للحاكم (٧٢٦٣)، وقال: «صحيح الإسناد».

حرفًا، صيَّرني غلامًا»، فلذا لا ينبغي الإعراض عن كل من تعلّم منه حرفًا من دين الله تعالى، أو بابًا من أبواب محبة الله عزوجل، ولا يحقد عليه إذا أغضبه، أو غضب عليه، ولا يشقّ على قلبه معاملته بالشدة في أمورِ الدين.

بل يعلم يقينًا أن الصبر على تربيته: هو سبيلُ معرفة الله عزوجل، والصبر عليه ليس إلا لأجل محبة الله عزوجل، لأن من صبر على شدّة أهلِ الله، فإن الله تبارك وتعالى يكتب صبره هذا في محبته، لأن محبة أهل الله، هي المحبة الحقيقية.

الأمر بالتقوى، واختيار الصراط المستقيم

قال الله تبارك وتعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾(٢٦)

فيه خطابٌ لأهل الإيمان، يحذِّرهم الله سبحانه وتعالى أن تصدر منهم أفعالٌ يغضِب اللهَ عزوجل، فأمر باختيار التقوى في كل الأمور، وهو طريق الطاعة.

ثم قال: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، يندب فيه للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب، أو المقاربُ له عند تعذر اليقين، من قراءةٍ، وذكرٍ، وأمرٍ بمعروف، ونهيٍ عن منكر، وتعلُّم علمٍ وتعليمِه، والحرصِ على إصابة الصواب في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصِل لذلك، وكلِّ وسيلة تُعِيْن عليه.

ومن القول السديد: لِينُ الكلام ولطفُه في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح، والإشارةُ بما هو الأصلح، والإعراضُ عن التغليظ

(٢٦) الأحزاب: ٧٠

في القول؛ المؤدي إلى الخصام، ولأجل هذا يُسَنّ التذكير بقراءة هذه الآية في خطبة النكاح، كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه[٢٧]، لأجل أن يتذكر العريس أن لا يتفوَّه بلسانه ما يوصله إلى الخصومة، ومِن ثَمَّ يؤدي إلى الطلاق.

ثم قال تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[٢٨] قال المفسرون في تفسير هذه الآية: «يُتقبَّل حسناتكم»[٢٩]، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه.

فائدة تفسيرية

اتفق جميع المفسرين على تفسير الصلاح هنا بالقبول والإثابة عليه، وهذا لا يتوافق مع معناه في اللغة، لأننا لو اعتمدنا على اللغة في تفسيرها، لكان المعنى: أن الله تبارك وتعالى يقيِّم أعمالَكم، ويجعلها صالحة، لكنه تفسير خاطئٌ مع موافقته للَّغة، وهذا فيه دلالة على أنه لا يجوز تفسير القرآن بالرأي المجرَّد، فمن يظن أن كل من استوعب المعاجم العربية ومعانيها، فإنه يستطيع أن يفسِّر القرآن، فهو فهمٌ خاطئٌ، بل إن من يعتقد ذلك: فلا أعتقده إلا جاهلا، وذلك لأن تفسير النبي ﷺ للقرآن: هو أعلى مراتب التفسير، ثم تعلَّم الصحابة تفسير القرآن على يدَي النبي ﷺ، فمن أراد أن يفهَم القرآن، فإنه يجب عليه الرجوعُ إلى أقوال الصحابة، ومِن ثَمَّ الاعتماد على تفاسيرهم، ولا مفرَّ

(٢٧) سنن الترمذي (١١٠٥)، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، سنن أبي داود (٢١١٨)، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، سنن ابن ماجه (١٨٩٢)، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح.

(٢٨) الأحزاب: ٧١

(٢٩) تفسير الخازن (٣/ ٤٣٨).

منها، فلذا من يعتمد في تفسير القرآن على اللغة المجرَّدة، فإنه منهجٌ خاطئٌ في فهم القرآن، ويجب على مثل هؤلاء: أن يرجعوا إلى المنهج الصواب.

ولأجل هذا لم يعتمد سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه ـ وهو رئيس المفسرين ـ على اللغة المجردة في تفسير هذه الآية، وإنما فسَّرها بما سمعه من النبي ﷺ، واعتمده، والله أعلم.

يقول معالي الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله مبينًا الحكمة من هذا التفسير: «لأن العمل إذا كان صالحًا، يكون مقبولًا»(٣٠)، فالقبول من لوازم العمل الصالح، والعمل لا يكون صالحًا إلا بالإخلاصِ، وطلبِ مرضاة الله عزوجل.

ويفهم من تفسير هذه الآية أيضًا: أن كلَّ مَن كان مِن عادته: النزاع والخصام في داخل البيوت من رجالٍ ونساءٍ، فإنه على خطَرٍ من أمر دينه وأعمالِه الصالحة، فليزم السدادَ في القول والعمل، ليتدارك به أعمالَه.

ثم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٣١) هذه جائزة أخرى لاختيار التقوى، والتزامِ السداد في القول والعمل، وهو مغفرة الذنوب التي هي السبب في هلاكهم، فبالتقوى تستقيم الأمور، وبه يندفع كل محذور، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣٢)

---

(٣٠) بيان القرآن (٢/ ٦٨)، سورة الأحزاب [٧١]، اتش، ايم، سعيد.

(٣١) الأحزاب: ٧١

(٣٢) الأحزاب: ٧١

الإرشاد الرباني في حق الزوجات

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٣٣] أي: يجب عليكم أيها المؤمنون أن تحسِنوا عِشرةَ نسائكم، بأن تكون مصاحبتكم ومخالطتكم لهن: بالمعروف الذي تعرفه وتألفه طِباعهنّ، ولا يستنكَر ذلك شرعًا، ولا عرفًا، ولا مروءةً، يقول معالي الشيخ التهانوي رحمه الله: «هذا التماسٌ من الله لعباده، وإرشادٌ لهم على أن يعاشروا نساءهم بالمعروف، وليس هناك أرذل ممن يَرُدّ التماسَ ربه»، وذلك لأنه لو التمس منه شرطي، أو المفتش العام، أو رئيس الشرطة: أن يعتني بزوجته ولا يضيِّق عليها، لأنها زميلة ابنته أو قريبته مثلا ـ ولا يخفى عليه حال الملتمس ـ لوجدتَه يتضرَّع لها، ويسأل عن حالها، وتمنَّى أن لم يؤذها أبدًا، والتمَسَ منها أن لا تتقدم بالشكوى إلى المفتِّش العام مرة أخرى.

وهكذا فإن الله تبارك وتعالى يلتمس في هذه الآية من عباده: أن يعاشروهن بالمعروف، وذلك لأنها أمة الله، قبل أن تكون زوجةً لك، يقول معالي الشيخ التهانوي رحمه الله: «لم أجد أرذل من شخص يردُّ التماسَ الله ـ يردُّ التماسَ مَن خلَقَه ـ فيضيِّق عليهن تضييقًا، ويُجبرهنَّ على تمني الموت»، ويزداد الأمر سوءً وقبحًا: إذا صدر ذلك من شخصٍ متديّن، ملتحٍ، لا تفوته صلاة الضحى والتهجد، يضرب امرأته أو يعنّف عليها، تتمنى أن لو تزوجت من عِلماني لا يصلي ـ معاذا بالله ـ، ولكن يحفظ حقوق الأهل، ويرعاهنّ بالمعروف، وتتأوَّه على ذلك

---

(٣٣) النساء: ١٩

ألمًا، وواجبنا نحن المتديّنون بعد اختيارنا لزيِّ الصالحين، وبعد المواظبة على الصلوات بالجماعة، والالتزام بصيام رمضان، والانتساب إلى أهل الله عزّ وجلّ: أن نؤديَ مسؤوليتنا للحفاظ على هيبة شعار الصالحين، وأن نشوِّق الآخرين بأعمالنا: إلى التدين، وصحبة الأبرار الصالحين.

فواجبنا كمتدينين: أن نقدِّم مكارم الأخلاق لأهلنا وعيالنا، وأن نكون مثلًا أعلى، وقدوةً صالحة للآخَرين، حتى يتمنى أهل الحيّ أن لو زوَّجوا بناتهم بأناس متدينين، وأن تكون زوجاتنا لسان صدق للآخرين، بما يحضَين من رعاية وعشرةٍ بالمعروف، وقد سبق أن بينت أحوال بعض من آذوا نساءهم، فعوقبوا بأشد العقاب في آخر حياتهم ـ أعاذنا الله من ذلك ـ.

شرح حديث:(النكاح من سنتي)

ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي))، وجاء في رواية أخرى: ((فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)).

من هو المعرض عن النكاح؟

قال العلماء: لا يدخل في هذا الوعيد مَن لم يقدر على أداء الحقوق الزوجية، وذلك مثل الفقير الذي لا يستطيع أن يتحمل أعباء السكنى والنفقة مثلًا، وكذا مَن غلبت عليه المحبة الإلهية، فلا يرغب في النكاح، ولا يستطيع أداء حقوق النساء، فإنه لا يُعدّ معرِضًا عن سنة رسول الله ﷺ إذا لم يتزوج، لكن لو خلا شخص عن جميع الأعذار المانعة عن أداء الحقوق الزوجية، فلم يتزوج، فإنه يستحق هذا الوعيد،

فينبغي للمسلم أن لا يسيء ظنه بأحد، وقد وجد كثير من الأولياء على مرِّ العصور، ولم يتزوَّجوا.

وذلك مثل: بشر الحافي، والعلامة محي الدين أبي زكريا النووي ـ شارح صحيح مسلم ـ، والتفتازاني، وابن تيمية رحمهم الله، لم يتزوج أحد من هؤلاء، لأسباب مانعة عن الزواج، ولله دَرّ القائل:

هل لغيرك نشتكي أحوالَنا

وفي سماءك مرتجى آمالنا

كما أن بعض الزوجات يتردَّدْن هذا البيت أيضًا، عندما يضيَّق عليهن، وفي قرارة أنفسهن: أن لو كنت رجلا، وكان زوجي امرأتي، لأدبته تأديبا.

وينبغي للمرأة أيضا: ألَّا تنتقِص زوجَها، حتى لو صدر منه تضييق أو إزعاج، وما إلى ذلك، وأن تعفو عنهم دائمًا، لحقِّ القوامة التي فضَّلَ الله بها الرجالَ على النساء، وذلك ابتغاء مرضاة الله عزوجل، وأن تسعد بخدمتهم، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال:

((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الملائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))(٣٤)

ولو سبَّحت طوالَ الليل، فإن الملائكة تلعنها لأجل غضب زوجها، فلذا ينبغي للمرأة أن تعرِف عِظَم حقّ زوجها.

ومما يدل على عِظَم حق الزوج: قوله عليه الصلاة والسلام: ((لَوْكُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ

---

(٣٤) صحيح البخاري (٣٢٣٧)، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين.

لِأَزْوَاجِهِنَّ، لِمَا جَعَلَ اللهُ لهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الحَقِّ))[٣٥]، لكن النبي ﷺ لم يأمر بذلك، لحرمة السجدة لغير الله عزوجل إطلاقًا.

فيجب على كل امرأة، أن تعلم ـ بل ويجب للأمهات أن يربِّين بناتهن على ذلك ـ: أن حق الزوج عظيم جدًّا، فلو صدر منه ما يؤذي القلب، فلا تضيق صدرُها عن الصبر، فإن الله تبارك وتعالى جعله سببًا لنعم عظيمة، تصل إليه من طريقه، فإنه يخرج من بيته ليكسب، ثم ينفقه على أهله وأولاده.

كون المرأة خلقت من ضلع أعوج

ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:

((المَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتهَا، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ)) رواه البخاري ومسلم[٣٦].

يشير النبي ﷺ في هذا الإرشاد النبوي: أن المرأة مثل الضلع، لأنها خلقت من ضلع أعوج، والضلع لا يتم الانتفاع بها إلا باعوجاجها، وقد أثبت الطب الحديث: أنه لولا ذلك الضلع الأعوج، لكانت أخفَّ ضربة على القلب سببت نزيفًا، فخلق الله ذلك الضلع، ليحمي القلب، ثم جعله أعوج ليحمي القلب من الجهة الثانية.

ولأجل هذا: فلن تجد هناك من يطلب من الأطباء عمليةً لإقامة

---

(٣٥) سنن أبي داود (٢١٤٠)، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة، سنن الدارمي (١٥٠٤)، كتاب الصلاة، باب النهي أن يسجد لأحد.

(٣٦) صحيح البخاري (٥١٨٤)، كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء، وصحيح مسلم (١٤٦٨)، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

الضلع الأعوج، وإنما خلق الضلع أعوج؛ لأسبابٍ وحِكَم ربانية، وإلى هذا يشير المصطفى ﷺ بقوله: ((إن أقمتها كسرتها))، أي: كنْ حذرًا من إجبار المرأة على البكاء، فالمرأة خلقت من ضلعك، ليس من قدمك لتمشي عليها، ولا من دماغك فتتعالى عليها، خلقت من جانب ضلعك، ومن تحت ذراعك: لتحميها، ومن جانب قلبك لتحبها، وإياك أن تعذبها أو تشقيَها، فإن الله يحسب دموعها.

ولو لم تفعل ذلك، فقد يؤدي السباب والشتام معها إلى نهايةٍ لارجوع بعدها، ألا وهي الطلاق، فتندم على فِعلتك، ويشتمك الناس، ويساء بك الظن، وتبكي على الذكريات الماضية الجميلة، ومثل هذا الشخص: يبتعد عنه الناس، ولا يرغبون في تزويج بناتهم بأمثاله، ويعيِّرونه بأنه مجنون الغضب، وأنه أقدم على تطليق امرأة من قبل، فإياكم إياكم أن توقِعوا امرأةً أخرى في حباله، فيفعل بها مثل ما فعل بغيرها، ولأجل هذا؛ قال النبي ﷺ:((وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا؛ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ))، أي: كما أن الضلع الأعوج تنفع الإنسان على اعوجاجه، فاصبر على اعوجاجهنَّ، واستمتِع بهنَّ وفيهنَّ عوج، فلو أردت أن تقيم هذا الاعوجاج، لكسَرْتَها، ولن تقدر على إصلاحها.

يقول القسطلاني رحمه الله في شرح هذا الحديث: «في الحديث إشارة إلى الإحسان إلى النساء، والرفقِ بهنّ، والصبرِ على عِوَجِ أخلاقهن، واحتمالِ ضعف عقولهن»[٣٧].

وذلك لأنهن ناقصات عقل ودين بنص الشريعة، فلو كان لأحد ابنٌ مجنون العقل ـ لا قدر الله ـ فإنه يصبر عليه لنقص عقله، بل إنه يؤكد

(٣٧) إرشاد الساري (٨/ ٧٨)، كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء.

على الآخرين أيضًا، أنه لو صدر منه أمر سفيهٌ، أن لّا يجدوا في أنفسهم، لأنه معتوهٌ أو مجنونٌ.

وإلى هذا يشير النبي ﷺ في قوله: ((مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ))(٣٨)، فينبغي للرجل أن يصبر على أذاهنّ لنقصان عقلهنّ، فلو اشتريت لها دواء بخمسة ريالات، سمعتها تقول لك: من أين أتيت بهذا العشب؟

ويحكى: أن امرأة سألت جارتها، هل يشتري لكِ زوجكِ أحذية؟ فقالت: يُلبِسُني خِرْقَة الجلد أحيانًا، ثم سألتها: وهل يشتري لكِ لباسا؟ فقالت: يلبسني بعضَ الخِرَق، فسألتْها: وهل يشتري لكِ الأواني المنزلية؟ فقالت: لا تسألي عن هذه الأشياء، فإنه قد وفَّر لي أوانيَ طينية وخشَبية.

فهذا حال المرأة، فهي ناقصة عقل ودين، يقول النبي ﷺ مشيرًا إلى هذا المعنى: ((لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ))(٣٩)

تنبيه هام

قوله ﷺ: ((مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ))، فيه حثٌّ على غض البصر عن الأجنبيات التي لايحل للأجنبي النظرُ إليهنّ من طالباتٍ، وزميلات الدراسة وغيرهنِّ، وقد هلك في هذا الباب كثير من الدكاترة الجامعيين، وغيرُهم من

---

(٣٨) صحيح البخاري (٣٠٤)، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم.

(٣٩) صحيح البخاري (٥١٩٧)، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهنّ، صحيح مسلم (٢٤٣٩)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها.

العلماء المقصِّرين في هذا الباب، فمن لم يغضض بصرَه عن هؤلاء، فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا، فافهم فإنه أمرٌ دقيقٌ.

حق المرأة في التدلل

هذا الحديث فيه حثٌّ على الشفقة على النساء، والرفقِ بهن، والصبرِ على اعوجاجهنّ، وذلك لأن المرأة لها حق التدلُّل، ولنا في هدي النبي ﷺ خير مثال على ذلك، فقد روى البخاري في صحيحه، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: ((إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى))، قَالَتْ: فَقُلْتُ: «مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟»، فَقَالَ: ((أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ محَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ))، قَالَتْ: قُلْتُ: «أَجَلْ وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ»(٤٠).

فانظروا إلى خاتم النبيين محمد ﷺ، كيف كان يصبر على أزواجه، ولم يضيِّق بذلك صدرَه، لأن الزوجة لها بعض الحق في التدلل على زوجها، لكن يظن البعض أن قوامة الرجل المذكورة في قوله تعالى:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾(٤١)

يعني كونه حاكمًا عليها، فيتسلط على المرأة كما يتسلط بعض الحكام

---

(٤٠) صحيح البخاري (٥٢٢٨)، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، صحيح مسلم (١٨٩٠)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها.

(٤١) النساء: ٣٤

الجبابرة على شعوبهم، يقول معالي الشيخ أبرار الحق رحمه الله: «يجوز للرجل أن يحكم على المرأة في تطبيق الأحكام الشرعيّة، فإذا أرادت أن تفعل شيئًا مخالفًا للشريعة الإسلامية، كأن تطلب التلفاز في بيته، أو مشغّل الفيديو، أو طلبت منه أن يعلِّق الصور في البيوت، أو طلبت من الزوج أن يذهب بها إلى معارض السينما، فلا ضير أن يحكم عليها بالمنع من ذلك، أما إذا طلبت منه أمورا عادية، كأن يخرج بها للنزهة، فلا ينبغي حينئذ أن يتعلل بسوء مزاجه، أو أنه خاصم مديره في مكتبه، بل يجب عليه أن يقضي حقوقها، من المحبة والوفاء».

ولا يتغافل عن ذلك، فوضْعُ اللقمة في فم الزوجة صدقة، وللرجل مع زوجته علاقتان، علاقة الحكم، وعلاقة المحبة، ولها أيضا علاقتان مع زوجه: علاقة المحكومية، وعلاقة المحبوبية، فيجب على الرجل أن يؤدي حقوق المحبة على وجه الكمال، ليكون دارُه بذلك دارَ النعيم في الدنيا، ويكون سببًا لمرضاة الله عزجل.

ويُنسَب إلى عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ إذا أتى إلى فراشه بعد صلاة العشاء، كانت تترنم بهذه الأبيات:

لنا شمس وللآفاق شمس　　　وشمسي خير من شمس السماء

فإن الشمس تطلع بعد فجر　　　وشمسي طالعٌ بعد العشاء

سنة الدخول في البيت

ويسن لمن دخل في بيته: أن يبدأ أهلَه بالسلام، لما روي عن أَنَسِ ابنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ:

((يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ))[٤٢]

وكان من عادته ﷺ، أنه إذا خلا بأهل بيته، شاركهن الفرحة والضحك، فعن عمرة، قالت: «سألت عائشة كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ قالت: ألين الناس، بسَّامًا ضحَّاكًا»[٤٣].

وللأسف! فإن الناس لا يبالون الآن بهذه السنن، فلا أكاد أجد أحدًا يسلِّم على أهله إذا دخل عليهنّ، ولا يشارك معهنّ الفرحةَ والابتسامةَ في خلواتهنّ، والنبي ﷺ كان يواظب على هذه السنة ـ وفقنا الله تعالى لطاعاته..

كيف تكون البركة في النكاح؟

روي عن النبي ﷺ أنه قال:

((إنّ أعظم النكاح برَكة: أيسره مؤونة))[٤٤]

فأعظم النكاح بركة: أيسرها مؤونة، وأقلُّها تكلفة، فكلما كان النكاح أيسر، كان أعظم بركة، وللأسف فإن الناس في هذا العصر يظنون أن البركة في النكاح لا تتم إلا إذا استؤجر له قصور الأفراح، الذي لا تقل مؤنته عن خمسين ألفًا إلى مائة ألف.

---

(٤٢) سنن الترمذي (٢٦٩٨)، أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته.

(٤٣) مسند إسحاق بن راهويه (١٠٠١).

(٤٤) مسند أحمد (٢٤٥٢٩)، وفي رواية عند النسائي والحاكم: **((أعظم النساء بركة أيسرهن موونة))**، السنن الكبرى (٩٢٢٩)، والمستدرك للحاكم (٢٧٣٢)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

ورأيت في بعض الأفراح: أنهم يطعِمون الضيوف قيامًا، مصداقًا لقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾[٤٥]

وهذه الآية وإن نزلت في الكفار، ولكن وللأسف فإن بعض المسلمين يفتخرون بمشابهتهم، ويأكلون قيامًا، وقد نهى النبي ﷺ عن الأكل والشرب قائمًا، فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «أنه نهى أن يشرب الرجل قائما»، قال قتادة: فقلنا فالأكل؟ فقال: «ذاك أشرّ أو أخبث»[٤٦].

وأخبث من ذلك كله: ما نجده في بعض الزواجات اليوم من تسجيل الفيديوهات، وللأسف فإن بعض المتدينين أيضا لا يقومون عن هذه المجالس المنكرة، فلا يجوز الجلوس في مجالس المعصية، بل يجب الابتعاد عن كل مجلس يُجهَر فيه بمعصية الله عزوجل، وذلك مثل: تسجيل الفيديوهات، أو التقاط الصور، أو تشغيل فيديوهات النساء عن طريق التلفاز وما إلى ذلك، فمن حق المحبة الإلهية: أن يلفظ اللقمة من فمه، ويقوم من هذه المجالس المنكَرة فورًا.

وبعضهم يطلب الجِسِّيسين والمنشدين، ويصرف عليهم آلاف الريالات، وليس هذا من البركة في شيء، وإنما البركة كما قال المصطفى ﷺ: ((أيسره مؤونة)).

وينبغي أن تكون الوليمة أيضًا على قدر المستطاع، فلا يجب أن يستأجَر لها قصور الأفراح، ولا وجود الديكورات، فكلما كان النكاح أيسر، كان أكثر بركة، ولا حاجة إلى ضياع الأموال في هذه الأشياء،

---

(٤٥) محمد: ١٢

(٤٦) صحيح مسلم (٢٠٢٤)، كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائمًا.

ومن كانت لديه أموال فائضة، فلينفقها على ابنته، أو يتصدّق بها على زوج ابنته، أو يدِّخره لنفسه، لينتفع به في المُدلهِمَّات.

ثم إن بعضهم لا يفعل هذه الأشياء إلا لكسب مدح الناس وثقتهم، لكنه لو اطلع على ما يدور في خلد الناس، لوجد أن بعضهم يطعنه لأجل كثرة السمن في اللحم، وبعضهم يعيِّره بالبخل في اختيار الذبيحة، وآخرون يعيِّرونه بكثرة الملح أو الفلفل في الطعام، أو عدم وجود الحلوى الذي يناسب أذواقهم، ورضا الناس غاياتٌ لا تُدرَك.

فلذا يجب الإعراض عن الإسراف والتبذير في هذه الأمور الشرعية، واختيار الوسط في هذه الأمور، فكلا طرفي الأمور ذميم، ويروى: أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما تزوَّج، لم يخبر أحدًا بزواجه، فلما حضر صباح زفافه إلى النبي ﷺ: «رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَاشَةَ العُرْسِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً»(٤٧)، فلم يسخط النبي ﷺ على أنه لم يدْعه إلى وليمته، وهذا بخلاف ما يفعله عامة الناس في هذا العصر، فإذا نُسي شخص معين في دعوة أو وليمة، فإنه يسخط على ذلك، ويعدِه ويهدِّده بأنه سيعامله بالمثل، ولا يعزِمه إلى فرحته أيضًا، فهذا كله من الجهل، وخلاصة الأمر: أن النكاح كلما كان أقل تكلفة، كان أعظم برَكة، على لسانِ الرسول ﷺ.

من حق المرأة: المطالبة بالنفقة الشهرية

ذكر معالي الشيخ التهانوي رحمه الله في ملفوظاته المسمى بـ:«الكمالات الأشرفية»: أن من حق الزوجة أن يحدِّد لها الزوج نفقة

(٤٧) صحيح البخاري (٥١٤٨)، كتاب النكاح.

شهرية، لا يحاسبها عليه، لأنها لا تستطيع أن تتكسَّب بنفسها، لكنها تتمنى أن لو جاءها أخوها أو أختها مثلا، أو أبناء أخيها وأختها، فإنها ترغب أن تتحِفَهم ولو كان شيئًا يسيرًا، فلذا ينبغي للرجل أن يعطيها نفقة شهرية، لا يحاسبها عليه، وإنما يُترك الأمر إليها، تنفق كيف تشاء.

ينبغي للزوج أن يكون لطيفا كريما

يظن بعض الناس في عصرنا: أن أعلى مقام الرجولة أن تُجعلَ المرأة تحت وطأة الرجل وسلطته، وأن يكون للرجل مقام سام كريم، وفي بعض العادات والتقاليد: أن المرأة يضربها الزوج ضربًا مبرحًا في يوم زفافها، لتبقى المرأة تحت سلطته ونفوذه طولَ العمر، نعوذ بالله من هذا الجهل وهذه الوقاحة.

ونتأسّى بنبيّنا محمد ﷺ في هذا الباب، فقد روى البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الحِجَابَ ... ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ»(٤٨)

فهذه أسوة رسول الله ﷺ، بأزواجه المطهرات، فكان يصبر عليهن، ولا يعاملهن إلا بالحسنى، وإلى هذا المعنى أشار الآلوسيّ رحمه الله، فقال: «وفي الخبر: يغلبن كريمًا، ويغلبهنّ لئيم، وأحب أن

---

(٤٨) صحيح البخاري (٣٦٨٣)، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب.

أكون كريمًا مغلوبًا، ولا أحب أن أكون لئيمًا غالبًا»(٤٩).

فقوله: «يغلبن كريما»، فيه إشارة إلى أن الزوج إذا كان كريمًا، شريفا، حليما، فإن النساء يغلبنه، لمعرفتهن بأنه ليس من طبعه العنفُ والضرب، والتشديد على النساء، حتى إن بعضهن ترفع صوتها على صوته.

وقوله: «ويغلبهنّ لئيم»، وذلك بالضرب والشتم والعنف، ولأجل هذا قال: «فأحبّ أن أكون كريمًا مغلوبًا»، أصبر على أذاهنّ، لكن لا أتنازل عن مكارم أخلاقي، «ولا أحب أن أكون لئيمًا غالبًا»، بأن تصدر مني كلمات بذيئة، أو ألفاظ فاحشة، كما يفعل بعض الأراذل مع زوجاتهم، وهذا مصداق قولِ الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٥٠)

وإذا كان لشخص منكم ابنة سيئة الخُلُق، لكن يصبر عليها زوجها، فكم يفرح والدها بهذا الزوج، ولاتخلوا لسانه من مدحه وثنائه بين العالمَين، ويحبه حبا جمًّا، لصبره على ابنته السيئة الخلُق، بل إن بعضهم يهب له عقاراته وأمواله، وهكذا فمن صبر على زوجة سيئة، فإن الله تبارك وتعالى يمطِر عليه بأنواعٍ من الإفضال والنِّعم، ويفتح عليه أبواب الكرم، ونظائرُه لا تعدّ ولا تحصى.

وفَّقنا الله تبارك وتعالى لمرضاته، والإحسان إلى خُلقه عامة، وإلى زوجاتنا خاصة، ووفَّق زوجاتنا لطاعة أزواجهنّ، آمين.

---

(٤٩) روح المعاني (١/ ٤٦١).

(٥٠) القلم: ٤

علامات المسلم الكامل

قال النبي ﷺ:

((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[٥١]

خصص النبي ﷺ بذكر عضوين من أعضاء الإنسان في هذا الحديث، وذلك: لأن أكثر الإيذاء يكون من هذين العضوين، أي: اللسانِ واليدِ، وقلَّ من يَستعمل الرِّجلَ في الخصومات، فلذا خصهما النبي ﷺ بالذكر، فالمقصود من هذا الحديث: أن لا يؤذي أحدًا، ولا بطرف لسانه، كما يفعله البعض، فلم يقل: (من كلامه)، وإنما قال: ((من لسانه))، ولأجل هذا قال النبي ﷺ في حديثٍ آخر: ((الخلق عِيال الله، فأحب الخلق إلى الله: مَن أحسَنَ إلى عياله))[٥٢]

قصة طريفة لمعالي الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله

ذكر الدكتور عبد الحي رحمه الله ـ وكان من المجازين في الطريقة لمعالي الشيخ التهانوي رحمه الله ـ: أن زوجة الشيخ رحمها الله ـ ذهبت ذات مرة إلى بعض أقاربه، فطلبت من الشيخ أن يفتح قفص الدجاج صباحًا، ويوفِّر لهم الحبوب والماء، فنسي الشيخ ذلك، وجلس على مكتبه ليقرأ الرسائل التي ترِدُه من كبار مشايخ الهند، لكنه انغلق، فلم يستطع أن يرد على رسالة واحدة، فأراد أن يكتب شيئا من تفسيره «بيان القرآن»، لعل الله أن يفتح له، لكنه انغلق عليه أيضًا، ولم يجد ذاك النور الذي كان يجده في قلبه، فبكى، وتضرَّع ورجع إلى الله، لعلَّ الله

---

(٥١) صحيح البخاري (١٠)، كتاب الإيمان، باب: المسلم من سلم المسلمون.
(٥٢) مسند الشاشي (٤٣٥)، المعجم الأوسط للطبراني (٥٥٤١).

أن يقبل توبتَه، ويفتحَ عليه، فسمع إلى صوت قلبه، فخيِّلت إليه هذه الكلمات: «حبستَ خلق الله، والدجاج تضطرب، لأن الوقت قد تأخر أكثر من المطلوب، فكيف نفتح عليك وقد أسأت إلى مخلوقي، فأسرِع إلى الدجاج، وافتح القفص»، فلما خيِّل إليه ذلك، جرى إلى القفص فورًا، وفتحه، ووفَّر لهم الحبوب والمياه، فلما رجع إلى مكتبه مرة أخرى، فتح الله عليه ما انغلق.

فانظروا إلى هذا! كيف نسي الشيخ أن يفتح قفص الدجاج، فسلب الله منه الفتوحات، وللأسف فإن بعض الناس اليوم، يبالغون في إيذاء زوجاتهم، ويجلبون غضب الله عزَّ وجلّ.

أمر الله تعالى بالإحسان إلى الزوجات

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:﴿وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ﴾[٥٣] هذا التماسٌ من الله تعالى لعباده، بأن يحسِنوا عِشرة نسائهم بالمعروف، وينبغي للعبد أن يهتمَّ بهذا الالتماسِ، ويؤديَ حقه، ذلك: لأن رئيس الوزراء لو طلَب من شخص بأن يحسِن إلى زوجته، لأنها زميلة ابنته، فهل يمكن لذلك الشخص أن يفكِّر في إيذائها؟! فكيف إذا التمس منه رب العباد!!

وتذكّرت قصة: ذات مرة ذهبتُ إلى حديقة الحيوانات في مدينة حيدر آباد، وكنت أتشوَّق كثيرًا إلى أن أرى أسدًا ذا لحية، ولكن ولسوء الحظ: نسي حارس القفص أن يغلِق باب القفص الذي يقطن بداخله الأسد، فأعلنت إدارة الحديقة بأن الأسد قد خرج من قفَصه، فمن

---

(٥٣) النساء: ١٩

استطاع أن ينجو بنفسه فليفعل، فنظرتُ إلى العجائز كانوا يجْرُون مثل الغَزَال، فهذا حال الناس من خوف الحيوانات، إن زئير الأسد وحده كافٍ لزلزال الأرض، فكيف يكون حال غضب الله حينما يُعلَن:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (٥٤)

كيف يكون حال ذلك اليوم، الذي هو يوم القيامة، لكننا غافلون عن هول ذلك اليوم وشدَّته، ولا يعرِف عاقبة ذلك اليومِ أحدٌ إلا الله.

التعامل مع الزوجة بالمحبة والرحمة عند كبر سنها

سبق أن الله تبارك وتعالى طلب من عباده الإحسانَ إلى الزوجات، سواء كانت الزوجة شابة أم عجوزة شمطاء، فيجب الإحسان إليهنّ في كل حال، ولا ينبغي أن يكون حال أحدِكم كحال من أعطاها الحب عندما كانت جميلة حسناء، فإذا ما عجزت، أعرض عنها وترَكها، فهذا لا يجوز، وإنما يجب على الزوج أن يعاملها بالحسنى، لأنها أفنت حياتها كلها في صحبته، فلو كنتَ تحبها في الأول بالطبع، فإنما يجب عليك أن تشفق عليها في كِبَر سِنِّها، وتوفِّر لها كل ما تحتاجه من طعام وشراب ودواء، امتثالا لأمر الله عزوجل.

ويذكَر: أن الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي رحمه الله كان يحكي لطلابه قصة فريدة يستمتع بها طلابه، وهي: «أن عجوزا وعجوزة كانا يسكنان في مدينة دلهي، ولم يكن لهما أولاد، وكانا من شدة حبهما ينامان في لحاف واحد، وكان لا يخرج العجوز من حجرته للتبوّل إلا بإذنها، فإذا عرض له عارض التبوّل، قال لزوجته: أيها الشيخة، هل

(٥٤) الحاقة: ٣٠، ٣١

أتبوَّل؟ فكانت تردّ عليه وتقول له: نعم نعم تبوَّل»، وكان الشيخ رحمه الله يسكت عندها، ويضحك الطلاب.

نساء الدنيا أجمل من الحور العين في الجنة

يتأسف البعض منَّا على أن زوجاتهم ليست بالدرجة الكافية من الجمال، وأن أهله أخطأوا في اختيار الزوجة المناسبة له، فليعلم: أن الزواجَ أمرٌ مقدَّرٌ من عند الله سبحانه وتعالى، وكلٌّ ميسَّرٌ لما خلق له، فليصبر وليحتسب في الدنيا، أما في الآخرة: فإن الله تبارك وتعالى سيرزقهنّ جمالًا يحيِّر الألباب، ويبهِر العقول، بل إن نساء الدنيا يكنَّ أكثر جمالا من الحور العين، لما روي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله، أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟»، قال: ((بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارة على البطانة))، قلت: «يا رسول الله وبم ذاك؟»، قال: ((بصلاتهنّ وصيامهنّ وعبادتهنّ لله عز وجل، ألْبَسَ الله عز وجلّ وجوهَهنّ النور))[٥٥].

إن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، لها فضلٌ على جميع نساء العالمين، بسؤالها هذا السؤال الذي يراود في قلب كل زوجة، فقد كفتْهم المؤنة بهذا السؤال، فعامة النساء يعانين من أزواجهنّ، لأنه إذا نظر إلى امرأة حسناء في السوق، فإنه لا ينبسط إلى امرأته في ذلك اليوم ـ وهذا وبال المعصية ـ، ومثلُه كمَثَل من وجد وجبة الأرز البرياني، فإنه لا يرغب في أكل العدَس، كما قال هذا القائل:

إذا طبختِ عدس الهَرْهَرْ حينها حلَّ لي أن أَرْتحَِلْ

(٥٥) المعجم الأوسط، للطبراني (٣١٤١).

وخلاصة القول: أن نساء الدنيا يكنَّ أجمل من الحور العِين، وذلك لصلاتهن، وصيامهنّ وحجِّهن، وخدمتهنّ لأزواجهن وأولادهنّ وأهلهنّ، وتحملهنّ مشقة الحمل والولادة، ولأجل هذا كله، ألبسهنَّ الله لباس النور في وجوههن ـ فما أجمل هذا المنظر ـ وجعَل أجسادهنّ من الحرير، وألبسهنّ لباسًا خُضرًا، مجامرهنّ الدُّرّ، وأمشاطهنّ الذهب(٥٦)، فلله در من وجد هذا النعيم في العقبى، لإجل إخلاصه في الدنيا.

الدنيا دار من لا دار له

إن الدنيا مجرد محطة يرتحل منها كل ذي روح، ومثله كمثل محطة القطار، إذا لم تجد فيها ما يناسبك من الطعام والشراب، تسلِّي نفسك بما تجده من الأطعمة، رجاء أن تطعم من نفيس الأطعمة في بيتك بين أهلك وعيالك، فهكذا مثَل الدنيا ولو طالت الحياة إلى مائة سنة، فينبغي للمسلم الصادق أن يصبر على زوجته في الدنيا، لأنها ستكون أجمل من الحور العين في العقبى، ولا ينبغي أن يعيِّرها لدمامتها، فلو كان لك ابنة دميمة، فهل ترضى أن يعيِّرها زوجها لدمامتها؟ وهل ترضى لابنتك إذا كانت دميمة أو سيئة الخلُق أن يضربها زوجها أو يعيِّرَها أو يسبها ويشتمها؟ جاءني رجل من الأغنياء، وطلب مني أن أكتب لابنته رقية شرعية، لأنها سريعة الغضب والانفعال، وقال لي: أخاف إن زوَّجتها فإن زوجَها سيُعدِمها ضربًا مبرِّحًا.

وهكذا فإن زوجاتنا، بناتٌ لغيرنا، وخلُق المسلم: أن يحب لغيره ما يحب لنفسه، ولا يرضى أحدٌ منَّا أن يعيِّر أحدٌ ابنتَه، أو يؤذيها، أو لا ينظر إليها بعين المحبة والمودة، أو ينتهرها، أو يُعرِض عنها حينما تريد

(٥٦) ينظر: المعجم الأوسط، للطبراني (٣١٤١).

أن تتحدث معه، وينشغل بالتسبيح والذكر، يقضي نهاره في العمل، وهي تنتظره في البيت، فإذا رجع إلى البيت، وأرادت أن تتسلى معه، انشغل بالذكر والتسبيح، فيدخل بيته مغمضًا عينيه، وكأن وليًّا من أولياء الله يدخل في بيته، هل أثِر هذا عن سنة رسول الله ﷺ، أو أحدٍ من صحابته؟ هل كانوا يفعلون ذلك مع زوجاتهم؟

إن خُلُق الرسول ﷺ ـ كما سبق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ـ: «كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ قالت: ألين الناس، بسَّامًا ضحَّاكًا»[٥٧].

هذا خُلُق الرسول ﷺ، فكما أنه كان متعلقًا بربه، فكذلك كان يؤدي حقوق زوجاته، فقد قسَّم حياته بين ربه وبين خلقه، فكان يحمل همَّ الأمة، كما أنه كان يشارك أيضًا في الجهاد والحج، فما أتمَّ غزوة إلا وأمِر بالمسير إلى غزوة أخرى، ونزل جبريل يوصيه بالمسير، ومع هذا كله: لم يكن يدخل بيته عبوسًا قمطريرًا، كما هو حال بعض الناس اليوم معاذًا بالله ـ.

من هو أحسن الناس خلقا؟

إن من السنن المهجورة في هذا العصر: الانبساط مع الأهل، والضحِك معهم، والرَّجل رجُلان، فإن كان رجلا فاسقًا، فإنه يدخل بيته وكأن فرعونًا نزل بهم، وأما الرجل المتديّن: فإنه لا يرضى بأقلّ من أن يكون جنيداالبغدادي، فتجده يدخل البيت مغمضًا عينيه، وكأنه في المراقَبة في حِلّه وترحاله، ولا يعرف شيئًا من أمور الدنيا، فكلاهما

(٥٧) مسند إسحاق بن راهويه (١٠٠١).

عملٌ مخالفٌ لسنة الرسول ﷺ.

والسنة: أن يدخل بيته مبتسمًا، كما كان رسول الله ﷺ يفعل في بيوته، وينبسط إلى زوجته، فثواب الملاعبة مع الزوجة في هذه الحالة، أعظم من الذكر والتسبيح، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال:

((أَكْمَلُ المؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ))(٥٨)

وللأسف! فإن بعض الناس لا تكاد تجده إلا بسَّامًا ضحوكًا، دائم الابتسامة مع أصدقائه، فإذا ما دخل بيته، عبس وجهه، وكأنه لا يعرف الضحِك، وتتحيَّر حينها المرأة، وتتعجب من فعلته، وكانت تنتظره طول نهارها لتتسلى معه في آخر الليل، ولكنه الآن كدِمْيَة الحجر، لا يعرف الضَّحِك.

وليُعلم: أن ملاعبة الرجل زوجها من الدين، بل إن ملاعبتها أفضل من السهر على النوافل، لما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فقال: **((إِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))**(٥٩)

أي: إذا جاءك ضيف يريد زيارتك، فإن له حقًّا عليك، فاذهب إليه وتحدث معه، كما أن للزوجة حقًّا على زوجها، فيجلس معها ويلاطفها، وينبسط معها، والله أعلم.

علاج الغضب والانفعالات

سبق أن ذكرنا عن معالي الشيخ التهانوي رحمه الله أنه قال في

---

(٥٨)سنن الترمذي (١١٦٢) أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها.

(٥٩) صحيح البخاري (١٩٧٤)، كتاب الصوم، باب حق الضيف في الصوم.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ﴾[٦٠] «فيها التماسٌ من الله تعالى لعباده أن يحسِنوا عِشرة نسائهم، وليس هناك أرذل ممن يردُّ هذا الالتماس»، أي: إن من يؤذي زوجته، ولا يعاملها بالحسنى، ويرد هذا الالتماس الرباني، فإنه رذيل جدًّا، وذلك لأن المرأة خلقت ضعيفة، وبعد زواجها تكون في حرمة الرجل، بعيدة عن أهلها وإخوانها، ثم إنها إذا ولدت ولدين أو ثلاثة، فإنها تضعف، أما الرجل فيبقى قويًّا، بفضل أكل البيضة والأدوية المقوِّية، فيتسلط عليها، ويظهِر عليها عضلاته، ويظن أنه يتجنن في حالة الغضب، يقول: أمرتها بأن ترتِّب أغراضي، لكنها لم تفعل، أَتَظُنّ أنها خادمتك!! رتِّب أغراضك بنفسك، واخدم نفسك بنفسك، فليس من واجبات الزوجة أن تغسل ثياب الرجل، فلا ينبغي تأذيتها، ولا أن يتجنَّن في الغضب.

وتذكرت قول بعض أصدقائنا، وكنت معه ذات مرة، فقال لي: «الغضب ليس مجنونًا أبدًا، بل إنه من أعقل العاقلين»، فسألته كيف ذلك؟ فقال لي: «ألا ترى الغاضب إذا وجد ضعيفًا أمامه، يهدده، أما إذا رأى خصمه أقوى منه، يتضرّع له، ويتوسل إليه، ويعده بأن لا يعود إلى الخطأ مرة أخرى».

فلماذا لم يصل إلى الجنون في هذه الحالة!! وهذه دلالة واضحة وقوية على أن الغضب ليس مجنونًا أبدًا، وإنما النفس تجرؤ على الضعفاء، لا على الأقوياء، فليس هناك شيء أعقل من الغضب.

وعلاج الغضب ـ كما ذكرت قبل قليل ـ: أنه قبل أيام جاءتني

---

(٦٠)النساء: ١٩

رسالة شخص من جدة، يشكو فيها معاناته من غضب الأهل والأولاد، فأشرت عليه بأن يقرأ البسملة سبعًا، ثم يتفل على طعامه، فإنه يشفى من هذا المرض العضال، وينبغي أن يُخْرِج ذرةً من رطوبة اللسان عند النفخ ـ كما قال الملا علي القاري رحمه الله: «ليُلق البزاق من الفم»[٦١]، لا أن يلوِّث الطعام بإلقاء البزاق ـ، فجاءتني الرسالة من نفس الشخص بعد شهر: بأن الطمأنينة عمت أرجاء البيت ـ ولله الحمد ـ، وذكرني بدعوات خاصة.

وينبغي للجميع: أن يراجعوا أهلَ الله لحلِّ مشاكلِهم الأُسَرِية، ولكننا وللأسف تركنا الرجوع إليهم، وصار كثير منا يريد أن يعالج نفسه بنفسه، فأنى ذلك؟ فليس هناك أيّ مَرَضٍ روحاني لا علاج له، ولكن يُشترط البحث عن المعالج، والسؤالُ عن العلاج، ولو كانت العادة السيئة زادت على أربعين سنة متتالية، فإن علاجها موجود عند أهل الله، لكن ينبغي السؤال والبحث الصادق، لكن لو ظنّ شخص أن المرض سيذهب بنفسه، ولا حاجة إلى الرجوع إلى الطبيب ومشورته، فليس ذلك بجيد، بل يجب الرجوع إلى أطبَّاء الروح، المصاحبين لأولياء الله عزَّ وجلّ، المتبعين لسنة رسول الله ﷺ، فإنه يُشْفَى من ذلك بإذن الله.

وخلاصة القول: أن كل من يتجرأ على زوجته ويؤذيها، فإنه يخاف أن ينظر إليها نظرة الغضَب إذا كان لها أخٌ مثل محمد علي كلاي، فضلًا عن إيذائها، والله أعلم.

---

(٦١) مرقاة المفاتيح (١/ ١٤٥)، كتاب الإيمان، باب الوسوسة.

قصة واقعية لظلم الزوج على زوجته

إخواني! اتقوا الله حيثما كنتم، وراقبوا ربَّكم في السرِّ والعلَن، فإن الله سبحانه وتعالى يراقب عبده دائما، وينظر إليه كيف يتعامل مع أمَته، إن من طبيعة المرأة أنك إذا انتهرتها، ورفعت عليها صوتك، وقلت لها: بأني متعَب جدًّا اليوم، فإنها تبكي طوال الليل، ولا تستطيع أن تأخذ راحتها من النوم، بل تتأوَّه وتتألَّم، وأنّ الله تبارك وتعالى يسمع إلى أنينها من فوق سبع سماوات، تقول: يا رب تمنيت أن لو يضحك معي ويضاحكني، ويتحدث معي، لكنه يأتي متعَبا من العمل وينام، فينام الزوج، وتبقى الزوجة تبكي وهي مستيقظة، والله تعالى ينظر إلى أنينها ودموعها، وعقاب مثل هذا الرجل أليمٌ جدًّا.

ورأيت شخصا بأم عيني: طلَّق زوجته بعدما ولدتْ له ستة من الأولاد، وذلك لأنها كانت سوداء دميمة، ولم يجبره على ذلك إلا الهوى، وكان يظنَّ أن أمه أخطأت في اختيار الزوجة، وأنه لا يستطيع البقاء معها، وأنه سيتزوَّج بامرأة جميلة، فقالت له زوجته: إن لم أكن المرأة التي تريد الزواج بها، فمن أين أتت هذه الأولاد؟ لو طلقتني من قبل، لتيسر علي الزواج برجل آخر، وأما الآن فأنت تطلقني بعد ستة أولاد، فرد عليه: بأنه مضطر، ولا يستطيع الصبر عليها، بل سيتزوج بامرأة جميلة ـ وأنها لا ترضى بها كزوجة ـ، فطلقها ثلاثا، وخرجت مع أولادها الستة، ولسان حالها يقول:

هل لغيرك نشتكي أحوالنا　　　وفي سماءك مرتجى آمالنا

وبالفعل تزوّج هذا الرجل بامرأة حسناء جميلة، لكنه لم يتم على زواجه

ستة أشهر إلا أصيب بالفالج، وعاش في هذه الحالة عشر سنوات، يبول ويتغوَّط على الفراش، أما الزوجة الثانية فقد فرَّت من البيت، لأنها لا تستطيع العيش مع هذا المريض المزمن، فهذه عاقبة الظالم.

وينبغي للمسلم أن لا يجبر أحدًا فيدعوا عليه، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب، قال النبي ﷺ: ((اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ))[٦٢]، ولله در القائل:

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم آخرُه يُفضي إلى النَّدَم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعوا عليك وعين الله لم تنم

إكرام الله تعالى للزوج الذي يتغاضى عن أخطاء زوجته:

ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))[٦٣]

والخيرية: أن يشفق على زوجته، ويعفو عن أخطائها، وذكر معالي الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله: أن رجلا فقيرًا اشترى دجاجة وبهارات ـ وكان يريد أن يستمتع بالطعام ـ، فلما طبخت زوجتُه هذه الدجاجة، كثَّرت الملح في الطعام، فما استطاع أن يأكلها، فاكتفى بشرب الماء، وقام من السفرة، ولم يكلم زوجته، وكان رجلا متواضعا من أهل الله، ففكَّر في نفسه: أن لو فعلت ابنته هذه الفعلة، فأنا أتمنى من زوجها أن يعاملها بمثل هذه المعاملة، فعفا عن زوجته، لأنها أمَة الله، دخلت في عصمته لأيام معدودة، وبعدها سيكون مصيرهما إلى القبر

(٦٢) صحيح البخاري (٢٤٤٨)، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم.
(٦٣) سنن الترمذي (٣٨٩٥)، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ.

حتمًا، فعفا عنها ابتغاء مرضاة الله عزوجل.

ماذا سيكون ردة فعل أحدكم إذا أخبرته ابنته بأن زوجها لا يعاملها بالحسنى، وأنها ليست راضية بالعيش معه، وأن معيشتها مع زوجها معيشة نكد وغضب، فهكذا الزوجة التي جاءت في عصمتك، فإنها ابنة وأخت، وهكذا، فلو تعامِلُها معاملة سيئة ـ لا قدَّر الله ـ، فإن أقاربها سيتأذَّون منك.

ونرجع إلى قصتنا، فنقول: لما توفي هذا الشخص، رآه شخص في المنام، فسأله: ما فعِل بك؟ فقال: كانت ذنوبي كثيرة جدًّا، لكن الله تبارك وتعالى عفا عني لأجل هذه القصة المذكورة.

قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في العفو

يذكر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه غضب على ابن أخته مسطح رضي الله عنه، فحلف وقال: «وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ»، وكان مسطح من أهل بدر، فأنزل الله تبارك وتعالى قرآنًا في حقه، وذلك لأن الله اطلع على أهل بدر، وغفر لهم، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))[٦٤]، وذلك لأن من تقبَّله الله تعالى في حضرته، فإنه لا يطردُه عن جنابه أبدًا، وليس كالخلق يقرِّب شخصًا ثم يُبْعِدُه، وذلك لأن علم الله محيط بخلقه، أما علم الخلق فقاصر، ولأجل هذا أنزل الله في حقه هذه الآية: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، أي: ألا تحب أن تعفو عن عبدي الذي

(٦٤) صحيح البخاري (٣٠٠٧)، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس.

كان من أهل بدر، وهو من المقبولين في حضرتي، ولا شك أنه أخطأ، لكني عفوت عنه، أفلا تحب أن تعفو عنه أيضًا، فتجازَى بالعفو يوم القيامة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «بَلَى وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لِي»، أي: يوم القيامة، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: «وَاللهِ لا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا»(٦٥).

قصة معالي الشيخ أبرار الحق رحمه اللّٰه

يُذكر أن الشيخ رحمه الله جلس ذات مرة في مكان ليتوضأ، فقام من موضعه ذلك، وجلس في موضع آخر، ثم قام فجلس في موضع ثالث، فسأله شخص عن ذلك؟ فقال: لما جلستُ في موضعي الأول، وجدت هناك النمل، فخشيت أن يفرِّقها الماء، فأكون سببًا لإيذائهن، فقمت وجلست في موضع آخر.

هؤلاء هم أهل الله وخاصته، الذين لا يؤذون صغار الحيوانات، فضلا عن أشرف المخلوقات، فلذا ألتمس من الجميع أن يستسمحوا من زوجاتهم قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعة، وأن يتداركوا القصور الذي صدر منهم قبل فوات الأوان، وأن يعاملوا زوجاتهم بالحسنى في حياتهم الباقية.

ولنذكر بعض القصص التي تدل على فضل الصبر على إيذاء الزوجات، وتحمّلِ أذاهنّ، وأنه طريق إلى الجنة، والحكمة في ذلك: أنه إذا كان لشخص منكم ابنة سيئة الخُلُق، لكن يصبر عليها زوجها، ويتحمل أذاها، فتأتي ابنته إلى أبيها، وتخبره بمعاملة زوجها لها، وأنه

---

(٦٥) صحيح البخاري (٤٧٥٠)، كتاب التفسير.

لا يرد عليها بصغيرة ولا كبيرة، بل إنه يصبر ويحتسب، فكم يفرح والدها بهذا الزوج، ولاتخلوا لسانه من مدحه وثنائه بين العالمَين، ويحبه حبا جمًّا، لصبره على ابنته السيئة الخلُق، بل إن بعضهم يهب له عقاراته وأمواله، وهكذا فمن صبر على زوجة سيئة، فإن الله تبارك وتعالى يمطِر عليه بأنواع من الأفضال والنِّعم، ويفتح عليه أبواب الكرم، ويفضِّل عليه بمراتب ولايته. ولنختم كلامنا بذكر قصتين في هذا الباب.

القصة الأولى:للميرزا مظهر جان جاناں رحمه الله

يذكر أن الميرزا مظهر رحمه الله كان ظريفًا، رقيقَ الحِسّ والشعور، فذات مرة حضر إليه ملك الهند، وشرب الماء من الدَّورق، ثم وضع القدح بصورة غير مناسبة، فانزعج الشيخ من فعلته، لكنه صبر على ذلك، ثم قال له الملك: أيها الشيخ، أردت أن أتحفك بخادم، يستلم راتبه من بيت المال، فقال له الشيخ: أنا ما زلت أصبر عليك، إذا كنت لا تعرف كيف تضع القدح بعد شرب الماء، فكيف يكون حال خادمك!! لا أحتاج إلى خادمك.

وينقل عنه أيضًا: أنه كان يخرج إلى الصلاة في جامع دلهي، فإذا وجد في الطريق سريرًا فِرش بصورة غير منظَّمة، فإنه يوجِعُ رأسه، ولو وجد خيطًا غير منظَّم في لحافه، أو بساطِه، فإنه يوجِع صدرَه، ويسلب نومَه، هكذا كان حاله.

ويذكر أنه تزوّج امرأة سيئة الخُلق، فكانت تؤذيه بكلامها البذيء ليلا ونهارا، فصبر عليها، فرزقه الله تعالى القبولَ بين الخلائق، وصار مرجعًا لكبار العلماء في عصره، فكان من خلفائه: الشيخ غلام علي رحمه الله، ومن خلفاء خلفائه: الشيخ خالد الكردي رحمه الله في

الشام، ومنهم العلامة المفسر: السيد محمود الآلوسي البغدادي رحمه الله، وعلامة الشام: الشيخ ابن عابدين رحمه الله، فهذا كله من علامات القبول.

ومن قصة زوجته: أن أحد تلامذة الشيخ ذهب إليها يطلب منها طعامًا، فأساءت القول في شيخه، فلما رجع إليه، سأله لِمَ تزوَّجتَ هذه البذيئة!! فرد عليه الشيخ وقال له: بصبري عليها، وتحمُّلي أذاها، رزقني الله التقربَ، والقبولَ بين الخلائق، ولأجل هذا تسمع في العالَمَ ذكري، وزرقني عزًّا ملأ الآفاق، ولولاه لم أكن أتصور ذلك.

وخلاصة الأمر: أن كل من يصبر على أذى المخلوقين، فإن الله تبارك وتعالى يُكرِمه غاية الإكرام، ويتفضَّل عليه بمَنِّه.

القصة الثانية: ولي يطير في الهواء، ولم تعترف له زوجته

يذكر أن وليًّا من أولياء الله كان يعاني من زوجته، فلما أيس من زوجته، دعا الله أن يرزقه كرامةً تعترف بها زوجته، وتخاف من دعائي عليها، فتكف عن الأذى، فكان يومًا من الأيام جالسًا على سريره، إذ طار به سريره في الهواء، وكان ذلك ثمرة دعائه، حيث إنه طلب من الله الكرامة، فطار به سريره من فوق بيته عدة مرات، لتنظر زوجته إلى السرير الطائر، فلما رجع إلى بيته، سأل زوجته: هل رأيتِ اليوم أمرًا عجبًا؟ فقالت له: نعم، رأيت اليوم وليًّا يطير في الهواء، وقد طار من فوق هذا البيت عدة مرات، وقد شاهدته بأم عيني، وقالت: إن مثل هذا الشخص يسمى وليًّا، وأما أنت فلم تستطع يومًا من الدَّهر أن تفعل ذلك، فحلف له بأنه هو الطائر في الحقيقة، وأن الله تعالى أكرمه بهذه

الكرامة، فردت عليه وقالت له: لذا كنت أقول، لماذا يطير معوَجًّا!!

انظروا إلى هذه المرأة، لم تعترف بفضله وولايته، وإنما عيَّرته بالاعوجاج، ولكنه مع هذا صبر واحتسب.

أحبتي في الله! أحسنوا إلى زوجاتكم، وعاملوهنَّ بالمعروف الذي التمسه الله منكم، واصبروا عليهنّ، وتحمَّلوا أذاهنّ، ولو أنّ أحدكم عجز عن سماع كلامها، فليخرج من بيته، ولا يناطحها ولا يخاصمها، فيؤدي ذلك إلى المكروه.

ويُنقل عن السعدي الشيرازي رحمه الله أنه قال: إذا كانت زوجتك تخاصمك بكلام مؤذ، فألق في فمها الحلاوة، كي يخرج من فمها كلام مؤذ محلى، وهذا مثال فقط، ليتعامل الرجل معه بالحسنى، وللأسف فإن عامة الناس يريدون إصلاحها بالعصا، ولا يعلم أن العصا لا يزيدها إلا اعوجاجًا، والله أعلم.

مثل المرأة في الحديث

روي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:

((الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ))، متفق عليه(٦٦)

أي: إن صفة الاعوجاج من لوازم المرأة، لأنها خلقت من ضِلع أعوج، فإن أردت أن تقيم هذا الاعوجاج، فإن ذلك يؤدي إلى كسرها حتمًا، وكسرها طلاقها، فإذا أردت أن تستمتعَ بها، تستمتعُ وفيها عوج، كما أنك

(٦٦) صحيح البخاري (٥١٨٤)، كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء، وصحيح مسلم (١٤٦٨)، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

تستمتع بضلعك الأعوج، فهل رأيت أحدًا يذهب إلى طبيب، ليُجري عملية جراحية لإقامة الضلع الأعوج؟! فكذلك المرأة تستمتع بها وفيها عوج، فيرتاح إليها قلبك، وترزَق منها الأولاد، ولعل الله أن يرزقك من بطنها وليًّا من أولياء الله، يشفع لك عند الله يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٦٧) أي: فتظن مثلا أنّ زوجتك لا تملك جمالًا كافيًا، أو أنها سوداء، وأنك تستحق جمالًا بارعًا، فتكره بعض صفاتها، فتصبر عليها لعل الله أن يزرقك من بطنها وليًّا، أو عالمًا، أو حافظًا للقرآن، فينفعك يوم القيامة، فلا تتعلق بالظواهر، فرُبّ أرضٍ سوداء، تنبت أجود النباتات، فلا ضير أن ترزَق وليًّا من امرأة سوداء، كما لا يمنع من أن ترزق شيطانا من بطن امرأة بيضاء، فلا يحقرنّ أحدُكم زوجتَه، ولا يتعلق بظاهر عيبها، من اللون أو الجمال وما إلى ذلك، بل ينبغي أن يعاشرها بالمعروف، إذا أراد أن يستمتع بها، لأن الاعوجاج من فطرتهنّ التي فطر الله عليها، فليتحمل ذلك.

يقول العلامة القسطلاني رحمه الله في شرح قوله عليه الصلاة والسلام: (وفيها عوج): «في الحديث إشارة: إلى الإحسان إلى النساء، والرفقِ بهنّ، والصبرِ على عوج أخلاقهن، واحتمالِ ضعف عقولهن»(٦٨).

وضعيفُ العقل يبادر بالخصومة، ولا يتحمل، ويعم ذلك كلَّ من كان ضعيفًا في عقله، فإنه يخاصم دائمًا، سواء أكان رجلا أو امرأة، فليتحمل العاقل هذا الضعف، ولا يقع معهنّ في الخصومة، فهذه هي

(٦٧)البقرة: ٢١٦

(٦٨) إرشاد الساري (٨/ ٧٨)، كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء.

تعاليم ديننا، وإرشادات نبيّنا ﷺ، فإنه أمر بالصبر على اعوجاج المرأة، وعدمِ السعي في إقامة اعوجاجهنّ.

فطرة النساء وطبيعتهن

ينقل عن بعض الصالحين أنه وصف النساء فقال: «يغلبن كريمًا ويغلبهنّ لئيم، وأحب أن أكون كريمًا مغلوبًا، ولا أحب أن أكون لئيمًا غالبًا»(٦٩).

فقوله: «يغلبن كريمًا»، أي: إن من طبيعة المرأة أنها تغلب على الزوج إذا كان كريمًا متواضعًا، لا ينتقم على الأخطاء، ولا يضرب بالعصا، بل إنه يكرِم زوجتَه، فالمرأة تغلب على مثل هذا الرجل الكريم، لأنها تعرف أنه لا ينتقم ولا يسب ولا يشتم، فترفع عليه صوتها، وتخاطبه كما يخاطب أحدكم صديقه أو أخاه الصغير، فتقول له مثلا: لِمَ اشتريتَ هذا! ولم فعلتَ كذا! ألم أقل لك أن تفعل كذا! قلت لك تشتري لي النعل، فمن أين أتيت بهذا الجِلْد الخَرِق! وقلت لك تشتري لي من أجوَدِ الألبسة، فلِمَ أتيتَ بهذه الخِرَق البالية! وقلت لك تشتري للبيت أواني فاخرة، فمن أين أتيت بهذه الأواني البائدة!

فهكذا تخاصم زوجها في كل صغيرة وكبيرة، لكنه يصبر ويحتسب، ويبتسم في وجوههنّ، ولا يردّ عليهنّ، فيكون مصداقًا لهذا القول: «يغلبن كريمًا».

وقوله: «ويغلبهنَّ لئيم»، وذلك بالضرب والشتم، على ضعفهنِّ، وبُعدهنّ عن آبائهنّ وإخوانهنّ، فإنها إذا ضرِبت ضربةً واحدة فإنها

(٦٩) روح المعاني (١/ ٤٦١).

تخاف على نفسها من جبروته وتسكت، وتخاف أن لو تدلَّلت مرة أخرى، كان عقابها أشدّ من المرة الأولى، فتمتنع من الدلال - وهو حقها -، لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ:((إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى))، قَالَتْ: فَقُلْتُ: «مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟»، فَقَالَ: ((أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ))، قَالَتْ: قُلْتُ: «أَجَلْ وَالله يَارَسُولَ الله، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ»[(٧٠)].

فثبت بهذا: أن من حق المرأة أن تسخط على زوجها إذا صدر منه ما يوجب ذلك، فلو سخطت المرأة منك، لما جاز لك أن تضربها، وإنما ينبغي أن تراضيها بالمعروف، وتحاول أن تفرِح قلبَها، وتزيل ما أهمَّها وغمَّها، وتسأل عن أحوالها، وهل صدر منه تقصيرٌ في حقها؟ أو أن يهدي لها ما تبحث عنها، أو أن يضع في فمها الحلواء، فإنّ وضع اللقمة في في امرأتك سنة أيضًا، فمن لم يعمل بها فليحاول أن يعمل بها، وينال ثمارها.

وقوله: «فأحب أن أكون كريمًا مغلوبًا»، أي: حتى ولو خاطبتني زوجتي بصوتها العالي، فإني لا أرضى أن أتنازل عن مكارم أخلاقي، وأحاول أن أرفع راية الخلُق، وأبقى كريما، وأتحملهنّ، وأعفو عنهنّ، لأنهنّ إماء الله.

قوله: «ولا أحب أن أكون لئيمًا غالبًا»، أي: لا أرضى أن أسيء خُلُقي، لأغلب عليهنّ، وهذا كما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله

(٧٠) صحيح البخاري (٥٢٢٨)، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، صحيح مسلم (١٨٩٠)، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها.

عنه قال: «اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ابنُ الخَطَّابِ، قُمْنَ فَبَادَرْنَ الحِجَابَ ... فقَالَ عُمَرُ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ»[٧١]، أي: إن رسول الله ﷺ يُدلِّلنا، فنتدلل، سبحان الله، ما أعظم هذا الخُلُق العظيم.

كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كيف يمكن لامرأة أن تتدلل، وزوجها لا يضع سوطه عن ظهره، والعجب من البعض: يبرحها ضربًا في النهار، ويعشقها في آخر الليل!! فهل كان هذا من خلق الإسلام؟ يبدأ نهارَه بضربٍ كالحيوان، ثم يقدِّم أعلى معايير العشق والمحبةِ في آخر الليل، وكأنه ذئبٌ في النهار، مجنونٌ في الليل.

فليس علاج المرأة بالضرب ولا بالشتم، فمن لم تصلّ امرأته مثلًا، فعلى زوجه أن يراجع العلماء، ويسألهم كيف يشوِّقها إلى الصلاة، كأن يتحِفها كتابًا في فضائل الصلاة، أو يقرأ لها شيئًا من الكتاب كل يوم، لكن لا يعاملها بالضرب، وليتحمّلها ما أمكن، فإذا عرض له عارضٌ يجبرُه على التعامل معها بشدة، كأن تُصِرّ على مشاهدة الأفلام المحرمة، أو تطلب جهاز التلفزيون في البيت مثلا، فلا بأس أن يمنعَها من هذه الأمور بشدة، ولا يرضى أبدًا أن يُرتكَب في بيته أيّ معصية، كأن تشتري لأبنائها دِمية ذي الأرواح مثلا، فلا يسمح بإبقائها في البيت،

(٧١) صحيح البخاري (٣٦٨٣)، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب.

لكن ينبغي أن يعاملها بالحكمة في كل هذه الأمور، وذلك: بأن يشتري لأبنائها ألعابًا أخرى، كالطيارات، والقطارات، والكرات، لأنه لو لم يفعل ذلك، فإن أبناءه سيزعجونها بكاء وعويلا، وتخاصمه زوجته، وتحاججه بما كان يفعله هو بنفسه قبل تديُّنه من المنكرات والمعاصي ـ معاذا بالله ـ، وتعيِّره بأنه ظالم جائر، وأنه لا يعرف كيف يتعامل مع أطفاله، ولأجل هذا: ينبغي أن يشغلهم في أمور أخرى مباحة، قبل أن يخرِج هذه المنكرات من بيته، لأن وجود صور ذي الأرواح، سببٌ لمنع دخول الملائكة في البيوت، سواء كانت هذه الصورة للحيوانات، أو للإنسان، أو كانت لوليٍّ من أولياء الله، فلا يجوز اقتناء الصور ألبتة، بل إنه محرم شرعًا.

التحلل لمن أساء إلى زوجته

ينبغي لكل من أساء إلى زوجته، وأجبرها على البكاء: أن يستسمح منها، وأن يعدَها بأنه سيتعامل معها باللطف مستقبلا، كما يجب أن يُتعامَل مع إماء الله، وأنه يعاشرها بالمعروف، كما أنه يتمنى ذلك لابنته، ويعفو عن زلاتها، ويخبرها بأنه قد عفا عنها جميع زلاتها، ولا يجبرها على البكاء أبدا، ولا يُسخطها.

ولا يكفي في ذلك بمجرد الكلام فحسب، بل يجب أن يتحفها مبلَغًا معيَّنا، كلٌّ حسب وسعه، لأن من يكسب عشرات آلافٍ من الريالات، لا ينبغي له أن يقدم لامرأته خمسين أو مائة ريال، فهذا من البخل، ومثَلُه كمثل قصة حكاها الشيخ الرومي رحمه الله: أن شخصًا كان يصرخ على كلبه الذي أشرف على الهلاك، وينادي بالويل لنفسه،

ويقول مستصرخًا: كلبي ميت من الجوع لا محالة، كلبي ميت من الجوع لا محالة، وكان قد ربَّاه لأكثر من عشر سنوات، فسأله شخص: ما الذي تحمله في داخل هذه السَلَّة التي على رأسك؟ فقال له: فيه خبز، فسأله: فلِمَ لا تُطْعِمُه من هذا الخبز؟ بدل أن تصرخ على موته، فقال له: أيها الرجل، إن دموعي لا تقدَّر بثمن، أما الخبز: فإنه يقدَّر بثمن، فأنا أصرف عليه ما لا يزيدني تكلفة.

فلا ينبغي للرجل أن يعامل امرأته بهذه المعاملة، وإنما ينبغي أن يقدِّم لها أيضًا: بعض الهدايا.

وقد ذكر معالي الشيخ التهانوي رحمه الله في «الكمالات الأشرفية»، أن من حق المرأة أن ترتَّب لها نفقة شهرية تنفقها كيفما تشاء، فلا تحاسَب عليها، ولا تسئَل عنها، كلٌّ على حسب استطاعته، فمن يكسب عشرة آلاف ريالات كل شهر، فلا ينبغي أن يعطيها ريالا أو عشرة، أو خمسين، بل يعطيها المائة وزيادة، ويعطيها خيارًا كاملًا في إنفاقها في أيِّ مصرف شاءت، ولا يحاسبها عليه، لأنها لا تستطيع اتكسب بنفسها، فهي محبوسة بحقِّك، فلعلَّها تريد أن تشتري شيئًا لإخوانها، أو أقاربها، فإذا لم تجد شيئا، فمن أين تصرف؟ فينبغي مراعاتها، لأنها رفيقة السفر، ولا تستطيع أنتخرج من بيتك إلا بإذنك، فينبغي مراعاة ظروفِها وأحوالها الخاصة.

حدَث أن شخصا كان لا يراعي حرمة نظره، فكان ينظر إلى الأجنبيات، ويعيِّر زوجته لدمامتها، وذات مرة أصيب بالهَيْضَة، فأصيب بالإسهال والتقيؤ، فخدمته زوجته، حتى برئ من المرض، فلما تعافى من المرض، بكى أمام زوجته، وأقرَّ لها بأنه لم تنفعه في مرضه إلا

زوجته التي كان يعيِّرها.

أحبتي في الله! إن الرجل إذا وصل إلى الفراش، فإنه لا يخدمه إلا الزوجة، فلا يحقرنّ أحدكم زوجته، أدعوا الله تبارك وتعالى أن يتقبل منَّا هذا العمل، ويجعله سببًا لهداية الناس أجمعين، آمين.

وينبغي لكل زوج أن يبشِّر زوجته ببشارة النبي ﷺ، بأنها ستكون أجمل من الحُور العِين في الجنة، ليدفع بذلك شعور النقص التي تُبتلى بها مع مرور الزمن، وذهاب الجمال، ليبدِّل حزنَها فرَحًا، وهمَّهَا سرورًا، وحصل معي ذات مرة، أني سافرت إلى مدينة إله آباد بالهند، فعزمني شخص من أقارب الشيخ وصي الله رحمه الله، وكان مديرًا لمدرسة الشيخ أيضًا، فخطبتُ في مدرسته خطبة، تطرقت فيها إلى هذا الحديث، وكانت زوجة المدير تستمع إلى الخطبة أيضًا، فقالت لزوجها: لمْ تذكر لي هذا الحديث أبدًا، أن نساء الدنيا يكنَّ أجمل من الحور العِين، ولكن هذا العالِم قد بشَّرَنا بهذه البشارة العظيمة، ولذا أريد أن أعزمه على فطور، فلذا أقول لكم: بشِّروا نساءكم بهذه البشارة، لتفوزوا بفطور جيد إن شاء الله تعالى.

خطاب للنساء

أخواتي في الله: إن الله تبارك وتعالى أنزل قرآنا فيه هداية لجميع الناس، وذلك ليفوزوا بمرضاة الله في حياتهم، كما قال تعالى:

﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(٧٢)

أي: خلقناكم للابتلاء، وليس للرفاهية، فمن الحماقة: اتباع النفس والهوى، وجلب سخط الله، ثم الابتلاء بعذاب القبر بعد الموت.

من الذي يحق له تعليم الناس الحياة المثالية؟

ليس لأحد حقٌّ في الدنيا أن يعلِّمنا كيف نعيش وكيف نسعد في حياتنا الدنيوية، لا لأمريكا، ولا لغيرها من البلدان المتحضّرة، بل إن السعادة والتحضّر منحصران في اتباع هدي محمد ﷺ، إن راحة البال في الدنيا في ابتغاء مرضاة الله عز وجل، فهو الخالق المالك، ولا يحق لأحد أن ينعم بالحياة دون رضا خالقه ومالكه، ولا في ما لا يبتغى به مرضاتُه.

فمن ابتغى مرضاة الله عز وجل، فإن الله تعالى يرزقه حياة طيبة، مِنّة منه وإحسانًا، كما قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾(٧٣)

أي: نرزقه راحةً في البال، وطمأنينةً في النفس، فالعاصي لا يهنأ بعيش البال، سواء كان رجلًا أو امرأة، فالمرأة التي تتبرج، ولا تصلي الصلوات

---

(٧٢) الملك: ٢

(٧٣)[النحل: ٩٧

الخمس، وتؤذي الزوج، أو ترتكب أيَّ نوع من أنواع المعاصي، لم يكن عيشها عيش هناء ورغَد، ولا تهنأ براحة البال، ثم الموت يقضي على جميع أنواع الملذَّات.

ينقل عن معالي الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله، أنه كان يقول: «كل من أراد إصلاح نفسه من رجال ونساء، فينبغي له أن يراقِبَ كل يوم، بأن روحه قد خرجت من جسده، وأنه يغسَّل ثم يكفَّن، ويوضع في القبر، ثم يوضع عليه التراب».

لكن وللأسف! فإن بعض أخواتنا تريد أن تبدأ حياتها الزوجية بالمعاصي والمنكرات، والاستماعِ إلى الأغاني، والتبرج أو السفور المحرّم، ولا أحد يعرف متى ستحلّ به العقوبة، ويُبتلى بالأمراض المنتشرة، كضغط الدم، أو السرطان، أو الحصوة - أعاذكم الله -، فيذهب بالجمال، ويبدّل الجمالَ قُبحًا، والسرور حزنًا، ولا يعرف أحد متى يطلبه ملك الموت، فيلبي نداء الله، كما حصل لبعض إخواننا قبل أيام، أصيب بحادث السير، فماتت ابنته التي كانت في السابعة عشر من عمرها، ولم تتزوج بعد، فلذا ينبغي لكل مسلم أن يستحضر الموت دائما، ويجتنب جميع أنواع المعاصي، ويتوب إلى الله، فلا يدري متى تأتيه نداء الحق، فيلبِّيه، ثم يحاسَب على أعماله.

علاج الغفلة وقسوة القلب

ذكر معالي الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله في كتابه المسمى «بهشتي زيور»: أن كل من أصيب بقسوة القلب، لا يهنأ بالعبادة، فيشتهي المعاصي، ويُعرض عن ذكر الله، فينبغي له أن يكثر من

ذكر الموت، لما روي عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها قالت: «أن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها، فقالت: اكثري ذكر الموت ـ فتتصور أنها ماتت، وقسَّم الورثة أموالها ـ يرق قلبك، ففعلت، فرقَّ قلبها، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها ـ لأن قلبها تعلَّق بالله، فصارت تتلذذ بالعبادة ـ»(٧٤).

يقول الشيخ رحمه الله معلقا على هذا الخبر: «من شقي قلبه، ولم يستطع تركَ الذنوب، ولا يجد في نفسه خوف الله تعالى، بل يجد في قلبه الميلَ إلى المعاصي والالتفات إليها، ولم يبق في قلبه شعور العبودية لله تعالى، وأن الله خالقه ومالكه، فإنه ينبغي له أن يراقب عند نومه كل ليلة، بأنه طلِب ليحضر أمام الله تعالى، وقُبِضت روحه، وتمّ غسلُه وتكفينُه، ثم يتصوَّر أنه يؤخذ إلى القبر، ولم يبق لديه الأموال، من الذهب والفضة، والألبسة والأقمشة وأنواع السجاجيد الفاخرة، ثم ألقِي في القبر، وذرَّ عليه التراب، ولسان حاله يردد:

شكرا شكرًا يا رفقائي   رفقـــاء المَيْـــتِ إلى

ما بعـد المنـزل منزلـة   نعبره وحـدانًا بالصبر

أو يقول بلسان مقاله:

حفرتم في الثرى جسدًا   بلا سلَم ولا دعـوات

أيهـــا الـــذاهب صـــبرًا   ما الذي جرى لزماني

---

(٧٤) إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥١)، ويدل على صحته، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ))، رواه الترمذي (٢٣٠٧)، أبواب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، وقال: «حسن صحيح».

ويتصور هول الموقف، وإعراض جميع الناس عنه، الأقاربِ والأباعدِ، فلم يصحبه أب، ولا أم، ولا زوج ولا زوجة، ولا أولاد، بل يبقى في حفرته وحيدا فريدا، ثم أتى المنكر والنكير: من ربك؟ وما دينك؟

ثم يتصوّر أنه قامت القيامة، وحشِر الناس إلى المحشر، وبدأ السؤال: أين صرفت عنفوان شبابك؟ أين صرفت أنظارك؟ هل كنت تصلي في الدنيا؟ فمَن غلبت حسناته على سيئاته، فله الجنة، ومن غلبت سيئاته على حسناته، أمر به، فألقِي في النار - أعاذنا الله من ذلك -.

فمن فعل ذلك، فإن الله يرقِّق قلبه، ويقرِّبه إليه، ويبتعد عن اتباع النفس والهوى والشيطان.

إخوتي في الله إن الدنيا دار ابتلاء، ولا نعيش فيها إلا لأيام قلائل، فارحموا علينا وعليكم، ولا تنخدعوا بهذا العيش القليل، بل تجهَّزوا ليوم الرحيلِ، والنعيمِ المقيمِ، الذي هو حقٌّ لكل مسلم نبيل، اللهم اهدنا الصراط المستقيم.

فينبغي للمسلم أن يداوم على المراقبة، انظروا إلى هذه البنت، ماتت في السابعة عشر من عمرها، ولم تتزوج بعد، وكم من نساء مثلها توفِّين في مقتبل عمرهن، ولا يلزم أن يموت المرء في شيبه، ومن السفاهة: أن يظن المرء أنه سيختار سبيل التقوى في آخر عمره، فإن الله يميت الشاب والعجوز والصغير، أنا أتذكّر أن زميلًا لي كان يدرس معي في كلية الطب، وكان في الثامنة عشرة من عمره، فسافرت إلى قريتي أثناء الإجازة، فمرض مرضا بسيطًا، توفي إثْره، فلما رجعت إلى المدينة، أتيت إلى بيته، ودققت الباب، فخرجتْ أمه، فسألتها عن حاله، فأخبرتني أنه قد مات، فالموت أدنى من شراك النعل يا إخوتي.

وتذكرت قصة أخرى لشقيق مدير المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، وكان في الخامسة والأربعين من عمره، فكان يشرب الشاي ذات مرة في مجلس، ولم يكن به أي مرض، فأصيب بجلطة القلب، وسقط الكأس من يده، وانتقل إلى رحمة الله، فينبغي للمسلم أن يتذكر الموت دائما، فلذا كان يتردد بعض مشايخنا هذا البيت دائما:

لا تدري متى ما يحل الندا فتندم وتحسَر على ما مضى

العمر المثالي لاتباع الشريعة، والتضحية من أجلها

نسمع بعض الشباب إذا ذكَّرته بالله، ورغَّبته في التديّن، تعلّل بصِغَره وشبابه، وأنه سيتديَّن عندما يكبر، وهو في الحقيقة لا يضمن الحياة، لا لنفسه ولا لغيره، فلا أحدَ يعرف متى يُلَبِّي داعي الأجَل، فهو أمرٌ غير مضمون، هذا من ناحية.

ومن ناحيةٍ أخرى: فالعبادة في حالة الشباب أنفس عند الله من عبادة العجائز، انظروا على سبيل المثَال: من أراد منكم أن يشتري خروفًا، فإنه يبحث عن صغير السِّنّ، لأن لحم الصغير أنفس وأجود، وهكذا فإن شباب المرء أنفس وأجود من شَيبه، وينبغي للمرء أن يُقدِّم شبابه هدية لدين الله عزوجل.

ومن المؤسِف والمخجِل جدًّا: أن ينتظر المرء شَيبه ليجعله في سبيل الله عزوجل ودِينه، فهو من كفران النعم، أليس الله هو الذي وهب هذا الشباب، وأنعم به عليكم؟ فلا تغترّوا بهذه الخصال الزائلة، والنعيم الفانية، فنهاية كل شاب وشابة عجزٌ وكسر، فمن كان عمره ستة عشرة سنة في هذا الوقت، فإنه بعد خمسين سنة سيكون عجوزًا فانيًا، لا يبقى جماله ولا جلاله، ويشيب الرأس، وتتكسر الأسنان، فيرثي الإنسان

حاله، كما قال هذا الشاعر:

تعيّرني وخط المشيب بعارضي ولولا الحجول البيض لم تحسن
حتى الدهر قوسي فاستمرّت ولولا انحناء القوس لم ينفذ

فلا تغترّوا بهذا الجمال الفاني، وراقبوا الله عزَّ وجلّ في السرّ والعلن، فإن عذاب القبر لشديد، تصوَّروا هل يقدر أحدكم أن يمسك بيده جمرة صغيرة، أو يستطيع أن يضع يده على مقلاة ساخنة، كيف سيكون حاله إذا فعل ذلك!! ولكن وللأسف فإننا لا نبالي من عذاب الله ولا نخاف عقابه الذي أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ، الذي شهد الأعداء لأمانته وصدقه قبل أصدقائه، فآمِنوا بما جاء به الرسول ﷺ وصدِّقوه.

تمثيل أحوال الآخرة بمثال في الدنيا

لنفترض أنّ سمكةً خرجت من البحر، فرأت الصيَّادين، ومعهم الشِّباكُ والأطعمة لجلب الأسماك، ومعهم السكاكين والفحم، فرجعتْ إلى البحر، وأخبرت عالمَ الأسماك بأنها شاهدت الصيّادِين على ساحل البحر، يريدون اصطياد الأسماك عن طريق وضع الأطعمة في الشِّباك، ومعهم السكاكين، فأي سمكة حاولت أكل طعامهم، فإنهم سيصطادونها، ثم يقطِّعونها قطَعا قطعا، ثم يشوونها على الزيت المقلي، ثم يأكلونها، ويرمون بعظامها للهِرَر والكلاب، فلم تصدّقها الأسماك، وقرَّرت أن تأكل من هذه الأطعمة، بحجة أنها لا ترى الشِّباك ولا السكاكين ولا الصيَّادين ولا النار، فتتجاهل الأسماك نصيحتها، وتطعم من الشبك، فتقع في حبال الصيَّاد، ويخرجها من البحر، فترى بعين الحقيقة ما سمعته من كلام تلك السمكة، وتشاهد الحقيقة بعين الاعتبار، وتصدِّق كلامها حينئذ، فهل

ينفعها هذا التصديق! كلا!

بل إن الصياد سيقطِّعها الآن ثم يشويها على النار ويأكلها، ثم يرمي بعظامها للهرر والكلاب لا محالة، فانظر يا رعاك الله، لن ينفعها الآن الإيمان ولا التصديق، بل إنها لو صدَّقت تلك السمكة التي شاهدت كل شيء؛ غيبا، وقَتْ نفسها من مشاهدة تلك المناظر المُرعبة، والمشاهد المُذهلة التي ابليت بها نتيجة التكذيب.

وهكذا فإن النبي ﷺ قد شاهد جميع الأحوال الغيبية والمناظر المُذهلة يوم المعراج، حتى إنه رأى الجنة والنار، ورأى رب العزة، وكلَّمه ربُّه، وهو صادقٌ أمينٌ، كما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء، فصدِّقوا هذا الرسول ﷺ، فتصديقه سببٌ للنجاة في الآخرة، ومخالفتُه سبب للهلاك والخسران ـ أعاذنا الله وإياكم ـ.

كيف يتعلق المرء بالله عز وجل

إخواني وأخواتي في الله حاولُوا التعلق بالله عن طريق الانشغال بالذكر والتسبيح، ففي بداية الأمر تجدون صعوبة وتكلفًا، ثم تتعوَّدون على ذلك، لأن من فطرة الإنسان أنه إذا تعوَّد على شيء، صار عادةً له، كما يتعوَّد المرء على الشاي أو الدخان أو التنبول، فإذا صار ذلك عادة له، شقَّ عليه تركها، فإذا لم يجد هذه الأشياء عند الحاجة، صار مجنونًا، يبحث عنها في كل مكان، وهكذا ذِكْر الله عزوجل، إذا تعوَّد عليه العبد، فإنه لا يستطيع أن ينام دونه، أما من ينام دون ذكر الله، فهؤلاء هم الغافلون عن هذه الملذَّات الحقيقية.

وخلاصة الأمر: أن المتعوِّد على الدخان كما أنه يبحث عن

الدخان في كل مكان، فهكذا العاشق يبحث عن ربه، ويبحث عن أهل الله وأوليائه، ولا يرزَق ذلك إلا أهل السعادة؛ رجالا ونساء، فهم يبحثون عن الله، ولا يمكن الوصول إليه دون عبادته وتركِ معاصيه، فالمتلبِّس بالمعاصي لا يمكنه الوصول إليه.

اللعنة على الناظر والمنظور إليه

روي عن الحسن البصري أنه قال: «بلغني أن رسول الله ﷺ قال: لعن الله الناظر والمنظور إليه»(٧٥).

هذا الحديث يدل على عظم حق حفظ النظر عن المحارم، فإن عمومه يدل على حرمة النظر إلى الأجنبي والأجنبيات، كما أنه يدل على حرمة السفور أيضًا، بدليل قوله: «المنظور إليه»، فيدخل في عمومه كل امرأة تتبرج وتسفر عن وجهها، بحجة أنها لا تتحمل الحرارة الجوية، لكنها تبقى واقفة أمام النار لطبخ الأرز البرياني والكباب الشامي، ولا تحس حينها بالحرارة، طمعًا في التلذذ بأكل هذه الأشياء، ولا تشتكي الحرارة حينها، لكنها تحتال إذا أمِرت بالامتثال لأوامر الله، ألا تنزل عليهنّ اللعنات!! نعم تنزل اللعنة عليهنّ وعلى كل رجلٍ ينظر إليهنّ، فهو دعاء النبي ﷺ على أمثالهن، وللأسف فإن الناس في هذا العصر يخافون من دعوة الأولياء، لكنهم لا يخافون من دعوة محمد ﷺ، الذي هو أولى وأفضل من كل ولي، ولا أحد يستطيع أن يصل إلى مراتب الولاية إلا باتباع النبي ﷺ ومحبَّتِه.

---

(٧٥) السنن الكبرى، للبيهقي (١٣٥٦٦)، جماع أبواب الترغيب في النكاح، باب ما جاء في الرجل ينظر إلى عورة الرجل والمرأة.

وينبغي لكل من يشتهي النظر إلى جمال الجنس المخالف، أن يتذكر هذه اللعنة، ويفكّر فيما يفعل، ويعلم أن مآله جلبُ سخَط الله ورسوله، ولكن وللأسف! فإن متبعَ النفس والهوى، يغفل عن ذكر الله ورسوله ﷺ.

زنا النظر

ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:

((زِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ))(٧٦)

فقوله ﷺ: (زنا العين النظر)، أي: لو نظر شاب إلى فتاة بنظر الشهوة، وكذا لو نظرت الفتاة إلى شابّ بنظر الشهوة، فهو زنا النظر.

وقوله: (زنا اللسان المنطق)، أي: التحدث والصداقة معها، ومَن الذي يتذكر هذه الآيات والأحاديث النبوية عند فوران الشهوة، لاالمتديِّنُ ولا غيرُه، وهذه علامة قسوة القلوب، وعدمِ التعلق بالله، وعدم الإخلاص.

فلو كان رجلا مخلصا صادقا تذكَّر اللهَ، وخاف عقابَه، وكفَّ عن اتباع النفس والهوى، فمن لم يتذكر ذلك، فليس بعبدٍ لله حقيقة، وإلا لتذكَّر الله، وعلم أنه يراه، ولله درُّ القائل:

إذا ما خلوْتَ، الدّهرَ يوْمًا فلا ... تَقُلْ خَلَوْتَ ولكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

ولا تحْسَبَنَّ الله يغفلُ مَا مضَى ... وَلا أنَّ مَا يخفَى عَلَيْهِ يغيب

وخلاصة الأمر: أن كل شاب أو فتاة ينظر إلى الجنس المخالف بنظر الشهوة، فإن الله سبحانه وتعالى يلعنه، كما ورد في الحديث، فزنا

---

(٧٦) صحيح البخاري (٦٢٤٣)، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج.

العين: النظر، وزنا اللسان: المنطق، لكن قد يغفل الإنسان، فيقول: إن هذه الحياة قصيرة، فانعم بهذه المناظر الجميلة، لكنه سيجد عاقبة ذلك في قبره، وسيعلم أين أضاع عمرَه.

الفحش في صورته الجديدة

إن بعض الناس في عصرنا: يفتخرون بالفواحش والمنكرات باسم التجدد والحضارة، فتجد أحدَهم يتفاخر أمام أصحابه، ويقول: ابنتي متحضرة جدًّا، وهي تتفوّق في الاختبارات دائمًا، وتنشَرُ صورُها في الجرائد والمجلات، وهذا والله عين التخلف، والأشد والأنكى أن يفعلَ ذلك رجل متدين، يصلي ويداوم على الأذكار، لكن ابنتها إذا تفوَّقت في الاختبارات، فإنه لا يمتنع من نشرِ صورها في الجرائد، والتلفاز!! فأنَّى هذا من الإسلام!!

أهمية الحجاب

روى الترمذي في سننه عن نبهان مولى أم سلمة، أنه حدثه أن أم سلمة حدثته: أنها كانت عند رسول الله ﷺ، وميمونة، قالت: فبينا نحن عنده، أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعدما أُمِرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ:((**احْتَجِبَا مِنْهُ**))، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى، لَا يُبْصِرُنَا وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

((أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا! أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ!))[٧٧].

الله أكبر، يأمر النبي ﷺ نساءه بالاحتجاب عن الأعمى، لأن نظر المرأة إلى الرجل حرام أيضًا، كما أن نظر الرجل إلى المرأة حرام.

---

(٧٧)سنن الترمذي (٢٧٧٨)، أبواب الأدب، باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال.

نصائح خاصة بالنساء

وفي نهاية حديثنا عن هذا الموضوع: وددت أن أخصص بعض هذه الصفحات للنساء خاصة، وما يجب عليهن تجاه أزواجهن، وذلك كالتالي:

أولا: طلب رضا الأزواج

فينبغي للمرأة أن تبتغي مرضاة زوجها، ولا تطيل عليه لسانها، فتحبط سائر عملها من الحج وغيره، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((إذا باتت المرأة، هاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة حتى تصبح))[٧٨]، فلذا ينبغي للمرأة أن تبتغي دائمًا مرضاة زوجها، وإذا أخطأت في حقه، فلتطلب منه العفو، وتحاول إسعادَه بما أمكن، لأنها لو لم تفعل ذلك وباتت هاجرة فراش زوجها ـ ولو كانت في صلاة وتسبيح ـ فإن الله تعالى لا يقبل عملها، بل يحبط سائر أعمالها، وتلعنها الملائكة حتى تصبح.

لكن الواقع المُؤلم: أن المرأة ترُدّ الحجَر بالحصى، فإذا وجدت زوجها ساخطًا عليها، مستكنًّا في جانب البيت مسبِّحًا، فإنها تأخذ الطرف الآخر من البيت في تسبيح، وتعده في نفسه: سأعطيك درسًا قاسيًا لن تنساه، ولا تجد من يمسح دموعك، وللأسف فإن مثل هذه الأشياء تدور الآن في عامة البيوت، فلتعلم المرأة أن سخط زوجها سببٌ للعنتها وطردها من رحمة الله عزّ وجلّ ما لم تراضيها، فلذا ينبغي للمرأة أن تراضي زوجها، وتطلب سماحه.

---

(٧٨)صحيح مسلم (١٤٣٦)، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.

ثانيا: الاجتناب عن نميمته إلى أبويها

فلا ينبغي لها أن تنم زوجَها إلى أبويها، فإذا سأل أبوها مثلا: هل يأتي زوجكِ بالأقمشة؟ فلا تقولي: نعم يأتي ببعض الخرق، وإذا سأل: هل يشتري لكِ الأحذية؟ فلا تقولي: نعم يوفِّر لي جلودًا بالية، وإذا سأل: هل يأتي لكِ بالأواني المنزلية؟ فلا تقولي: جمع لي الأواني الخشبية والطينية البائدة، وقد نبهت على ذلك أكثر من مرة، وذلك لأن من فطرة النساء: كفران العشير، وهو من أعظم أسباب هلاكهن وخسرانهن، كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال: ((أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ))، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: ((يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ))[٧٩].

فينبغي للمرأة أن تصبر على زوجها، وترضى بما قسم الله له من الرزق والمال، لتحظى بنعيم الآخرة.

ثالثا: الاجتناب عن كفران العشير

ينبغي للمرأة أن لّا تقع في كفران العشير، وترضى بما يوفره لها الزوج من مأكل أو مشرب، وتشكر الله تعالى على هذه النعم، فإذا ذهبت إلى بيت أبويها، فلتحمد الله أمامهم على كل ما تيسرت لها من الأسباب، لأن ضيق يدها تؤلمِ أبويها، فإذا وقعت في ضائقة أو مشكلة، فلتصلّ صلاة الحاجة، وتدعو الله عزَّ وجلّ وتتضرع له، ولا تفعل ذلك أمام أبويها.

---

(٧٩) صحيح البخاري (٢٩)، كتاب الإيمان، باب كفران العشير.

رابعا: ورد لتلطيف قلب الزوج

إذا كانت المرأة تعاني من غضب زوجها، فلا ينبغي أن تذكر ذلك لوالديها، وذلك لأن إخبار الوالدين لا ينفع شيئا، بل من الممكن: أن يرفع أبوها الدعوى في المحكمة ضدّه، ويصل الأمر إلى الطلاق، فتخسر زوجها وبيتها، لذا سأذكر وردَين في هذا الباب، من التزمت بهما، فإن بيتها سيكون مظهَرًا من مظاهر السعادة، فالورد الأول: أن تقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» سبعًا، ثم تنفث في الماء، وتطبخ به الطعام، وكذا تنفث في الماء الذي يُشرَب في البيت، فمن فعلت ذلك: فإن كل من يأكل من هذا القِدر أو يشرب من هذا الماء، فإنه سيكون مظهرًا من مظاهر رحمة الله، وتعمّ شأن الرحمة والشفقة في أرجاء البيت.

فبقوله: (الرحمن الرحيم)، ستظهر الرحمة، وتغلب الشفقة على القلوب، فلو أردتِ أن يكون زوجكِ مظهرًا من مظاهر الرحمة عليكِ، والشفقةِ على أبنائكِ، فلتقرئي هذا الورد سبعًا في الفطور والغدَاء والعَشاء، وستظهر آثاره في البيت فورًا.

والوِرد الثاني: أن تقرأ المرأة هذه الأسماء الطيبة (يا سُبُّوحُ، يا قُدُّوْسُ، يا غَفُوْرُ، يا وَدُوْدُ)، وتنفخ في الطعام والشراب، وإذا طلب الزوج ماء، فلتقرأ هذا الورد سبعًا، ثم تنفث في الماء.

وينفع هذا الورد والوِرد السابق أيضًا: إذا كانت معاملة حماتها سيئة معها، فلتقرأ لها هذا الورد، وسينفع بإذن الله، بل إنها تحبها بعد ذلك كما أنها تحب ابنتها.

خامسا: إرضاء الحماة من العقل والدين

إن من العقل والمنطق والدِّين إرضاء الحماة، والتعامل معها بحسن الخلُق، ولتعلم أنها ستكون حماة يومًا مّا، فإذا خاصمت حماتها، فإنها ستعاقَب بمثل ذلك، إنها أم تلك الزوج الذي تتمتَّعين به الآن، وهي التي ربَّت هذا الإنسان طوالة عشرين أو خمسًا وعشرين سنة، فلا ينبغي أن تحرِّضيه على أمه، وإنما ينبغي أن تكوني سببًا في ازدياد المحبة والمودّة والألفة بينهما، وأن تلقِّن زوجها تعظيم الوالدين، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال: ((**مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ، إِلَّا قَيَّضَ الله لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ**))(٨٠)، فأكرمي كبار السن! ليقيِّض الله لكِ من يكرمكِ عند سِنِّكِ، معاملةً بالمِثل.

فإذا كانت الحماة سريعة الغضب، كثير الكلام، فليُعالجها بالعلاج المذكور، فتقرأ البسملة سبعا، وكذا هذا الورد (يا سُبُّوحُ، ياقُدُّوْسُ، يا غَفُوْرُ، يا وَدُوْدُ)، سبعا أيضا، ثم تنفث في الماء وتضعه في الثلاجة، فإذا طلبت الحماة ماء فليُعطها من هذا الماء.

ولا تفعلي ذلك أمام أعينها، لئلا يُظن بكِ أنكِ ساحرة ـ والعياذ بالله ـ وكذا الزوج، فلا تفعلي ذلك أمام أعينهما، فإن هذه أسماء مباركات طيبات، وليس فيها شيء من الشرك والكفر، لكنَّ فعلَ ذلك أمام أعينهم، يثير الشكوك والأوهام، وأنا أعرف كثيرًا من الأزواج يعيشون الآن عيش الهناء والسعادة بسبب هذه الأوراد المباركة.

---

(٨٠) سنن الترمذي (٢٠٢٢)، أبواب البِر والصلة، باب ما جاء في إجلال الكبير.

سادسا: قراءة الكتب التي تتحدث عن مكارم الأخلاق

وينبغي قراءة كتاب «مكارم الأخلاق» للشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وغيره من الكتب، فإنه ينفع لمن يريد التحلي بحسن الخلق، وكتابه هذا واسعٌ ومفيدٌ في هذا الباب.

سابعا: الاجتناب عن الإسراف

وينبغي للمرأة أن تحافِظ على أموال زوجها، ولا تُسرِف فيها، فإذا اكتفت الحاجة بإضاءة لمبة واحدة مثلا، فلا تشغِّلي اللمبة الأخرى، وكذا إذا كفى كيس واحد من اللحم في الغداء أو العَشاء، فلا تطبخي كيسين منه، فتضطرين إلى رميه في القمامة، فإنها من كفران النعم، فحافظي على النعم، ولا تسرِفي في إنفاق مال الزوج.

ثامنا: عدم الإكثار من الطلبات

لا ينبغي للمرأة أن تكثر من طلباتها على الزوج، فلا تطلب لباسًا جديدًا في كل عرس مثلا، لأنه لو كان أربع عُرس في شهر واحد مثلا، فهل يأتي الزوج لكل عرسٍ بلباسٍ جديدٍ!! إن هذا لمن الإسراف والتبذير، وإنه يحمِّل الزوج أحمالا لا يقدر على تحملها، بل لو كان الزوج قادرًا على توفير ذلك، لما جاز ذلك أيضا شرعا، وذلك لأسباب:

السبب الأول: لما يكون في هذه الألبسة من التبرج والسفور عادة، وقد ورد في الكتاب والسنة ما يدل على حرمة التبرج والسفور، كما كانت تفعله نساء الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، أي: لا تفعلن كما كانت تفعل نساء

الجاهلية من التبرج والسفور، فلذا ينبغي للمرأة أن لّا تتبرج، بل تلبس لباسًا شرعيًّا في هذه الحفلات والمناسبات، لأن التبرج بهذه الألبسة الفاخرة محرم شرعا، بل إنه من الكبائر.

السبب الثاني: لما في هذا الفعل من الإسراف والتبذير، فتجد امرأة عندها عشرات الألبسة الفاخرة، لكنها تطالب الزوج بلباس جديد كلما أقيمت حفلة أو مناسبة، لكي ترفع بذلك شأنها أمام العامة والخاصة، ولا تعلم أن رفعة الشأن لا تكون بالألبسة الفاخرة، وإنما بإرضاء الله عزَّ وجلّ، فالعزة لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، ولله در القائل:

ليست العبرة كيف كنَّا وإنما في الجنة إن كنَّا

فينبغي للمرأة أن تفكِّر كم سيكون ثمنها عند الله يوم القيامة؟ وهل ينفع مدح النساء للباسكِ الفاخر أمام الله؟ على أنّ الافتخار بهذه الأشياء مذموم شرعا، يحكى أن عروسةً لمَّا تجهزت بكامل زينتها، قالت لها صديقاتها: ما أجملكِ وأروعكِ في هذا اللباس!! فبكت، وقالت: ما ينفعني مدحكن، إنما أفرح إذا مدحني عروسي، هذه القصة سمعها بعض أولياء الله، فبكى بكاء شديدًا، وقال: «يا أهل الدنيا! لا ينفعني مدحكم، وإنما إذا رضي الله عني يوم القيامة، فهذا الذي ينفعني، ويجعلني ذا ثمن».

فلا ينبغي التعلق بمدح الناس، بل ينبغي التعلق بالله، والتزام شريعتَه، ولا حرَج أن تلبس لباسًا عاديا أو مستعملا، فإنّ استعمال اللباس المستعمل لا يتنافى مع التحضّر، أما استعمال اللباس الفاخر، والظهور بها أمام أعين الأجانب، فإنها تنافي الغيرة، وباب الحذر: الاحتياط في هذا الباب، بل المطالبةُ بلباس جديد في كل زواج: ظلمٌ

على الأزواج، ويتأكد ذلك أكثر إذا كان الزوج فقيرًا، لا يتحمل الأعباء.

تاسعا: حرمة مصاحبة المخطوبة قبل النكاح

للأسف! نجد بعض الناس لا يمانعون من مصاحبة الخطيب لابنتهم المخطوبة، ولا يجدون في ذلك أيّ حرَج، فيتركونها في خلوة مع خطيبها، أو نزهة معه، فليُعلم أنه لا يجوز فِعل أيّ شيء من ذلك قبل النكاح، لأنه أجنبيّ عنها ما لم يكتب كتابة العقد، فيحرم الخلوة بها، والخروج معها في نزهة، أو تسوّق، ومن أراد أن يفعل ذلك فلينكحها، ولا بأس بهذه الأشياء بعد النكاح وكتابةِ العقد، لكنه لا يجوز ذلك قبله، لا التبرج ولا الخلوة ولا التنزه معها، لكن وللأسف فإننا نجد في بعض الثقافات أنهم لا يبالون بشيء من ذلك، فيتركون ابنتهم تتحدث معه، بل إنه يختلي بها، وإنها لمن الأشياء الجالبة لغضب الله، لأنها من باب الخلوة مع غير ذي رحم، وهو من الكبائر.

ولأجل هذه المعاصي: انتشرت الآلام وانحلت العرى، وعمّ الاضطراب والفوضى، وفقِدت الراحة والطمأنينة مع توفر الأموال، وذلك لأن الباحث عن الرفاهية في معصية الله عزّ وجلّ لا يطمئن أبدا، إن المعصية لا ترِيح بالا، ولا يهنّئ عيشا، وإنما هو في يد الله عزّ وجلّ، كما قال الله تبارك وتعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٨١)

فطمأنينة القلب مرهونة بذكر الله، وليست بمشاهدة الأفلام، ولا بالتبرج والسفور، ولا بسماح البنات باختلاط الأجانب، والمضاحكة معهم، بل

(٨١)الرعد: ٢٨

إن هذه الأشياء كلها سببٌ لجلْب سخَط الله وعذابِه، وسَلْبِ الراحة والطمأنينة.

فالاضطراب عام في الرجال والنساء، والشباب والفتيات، وكلها بسبب جلب سخط الله، فأيّ خُلُق أشد ذمًّا من تيسير سبل العذاب والنار لأنفسنا ولأبنائنا وبناتنا؟! وأي منفعة لأداء المناسك والمحافظة على الأذكار، إذا كان أبناؤنا وبناتنا يشاهدون الأفلام الإباحية، ويخرجون مع من شاؤوا من الذكور والإناث، لأكل الطعام في المطاعم، أو التنزه معهم في الحدائق والمنتزهات.

إخواني كل من كانت له ابنة مخطوبة، فلا يسمح لها بمصاحبة خطيبها والتخلي به، والمضاحكة معه، قبل أن يعقِد عليها العَقْد، فإن ذلك كله من العصيان.

وأيضًا فالنظر إلى الأجنبية كبيرة، وأي رجل أشد عذابا ممن ينظر إلى بنات الناس من غير وجه حقٍّ شرعيّ، فمن أراد أن يسمح لبنته بذلك، فليأمر خطيبها بالنكاح وعقد الكتابة، فلا بأس بشيء من ذلك بعد العقد؛ ولو تأجّل الزواج الرسمي إلى سنين، لأن بعض الناس يخافون من كلام الناس، ولا تتوفر لديهم التأثيث الكافي للزواج، فمن غلب عليه خوف الخلق، فلينكح ابنتها، ويؤخر الزواج إذا شاء، أما مَن غلب عليه خوف الله، فلينكح ابنته نكاحًا شرعيًّا، ويرسلها إلى بيت الزوج بلا تأخير ولا تأجيل.

وخلاصة الأمر: أن ينكِح ولي الأمر ابنته، ليزول المانع الشرعي من اختلاطهما، ومحادثتهما، والتخلي بها خلوة شرعية، لأنها حينئذ ستكون زوجته الشرعية، وقد سألني كثير من الشباب عن هذه المسألة،

وذكروا لي أن والد الخطيبة يطلبهم ليجلس مع ابنته، ويحادثها ويضاحكها ـ قبل النكاح ـ، فذكرت لهم المسألة الشرعية، وأن ذلك لا يجوز قبل النكاح، بل إنه من الكبائر الذي يجلب سخط الله وغضبَه.

ولأجل هذه المعاصي والكبائر عمّت الفوضى وحلَّ الاضطراب، فكل الناس مضطربون الآن، ولو رجعنا إلى ما قبل خمسين سنة، لوجدنا الناس فقراء، لا يمتلكون سوى مزارع صغيرة، ومع هذا فإن أبناءهم الواصلين إلى الخامس والعشرين من عمرهم، لم يكونوا يفكّرون في أرزاقهم، وإنما كانوا يأكلون من كسب والديهم، وأما الآن: فكل الأولاد يتكسَّبون، ومع هذا يجدون العَجز في النفقات، ولكنني رأيت في صغري أناسًا، لا يمتلكون سوى مزارع صغيرة، فكانوا يربُّون فيها الجواميس والبقار، يشربون من حليبها وألبانها، ويصنعون منها الزبادي والأجبان، ومع هذا يعيشون في راحة البال والطمأنينة، والسرُّ في ذلك: أن الراحة بيد الله، فلا تأتي بالمال ولا بغيره، وإنما هو رضى الله عزّ وجلّ، فمن أرضى الله، فإن الله تعالى يُرضيه، ومن أسخطه، فلا يضرّنّ إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا.

عاشرا: الاجتناب عن محادثة الأجانب إلا لضرورة

لا ينبغي للمرأة أن تتحدث مع أجنبي عنها، ولا تسمِعه صوتَها، ولا ترفع صوتها، فيسمعها أهل الحي، فإذا اضطرت أن تتحدث مع الأجنبي، فلاتخضع بالقول، كما أرشد الله تعالى أمهات المؤمنين إلى ذلك، فقال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾[٨٢] أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون،

(٨٢) الأحزاب: ٣٢

فَتَلِنَّ في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق، يدعو ويطمع الذي في قلبه مرض، فإذا أراد أحد من أصحاب رسول الله ﷺ السؤال عنهن، فليسأل من وراء حجاب، لا أن يُدخِل رأسه في الحجرة، لكن وللأسف فإن بعض المدراء لمدارس البنات في هذا العصر، يُدخِلون رأسهم داخل الغرفة ويتحدثون مع البنات، وهل يظنّ نفسه أنه أتقى من أصحاب رسول الله ﷺ، الذين أرشدهم الله تعالى مخاطبًا إياهم: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ﴾[83] أي: يكون بينكم وبينهنّ ستر، يستُر عن النظر، لعدم الحاجة إليه.

لكن وللأسف! فقد شاهدت كثيرًا من المدراء لمدارس البنات: ينظرون إلى البنات، ويتحدثون معهن، وتحدثتُ معهم في هذا الموضوع، وأخبرتهم بخطورة الأمر، وأن الحجاب واجبٌ على كل حال.

إرشادات خاصة بمدارس البنات

١) بعد الاطلاع على نظام مدارس البنات في الهند، وجنوب أفريقيا، وغيرها من البلدان، اتضح لي أن لَّا تقام مساكن الطالبات في المدرسة، لأنها سبب كثير من الفِتن، بل ينبغي أن ترجع الطالبات إلى بيوتهن بعد فترة الدراسة.

٢) أن تُختار معلّمات لتدريسهن، ولا يفوَّض ذلك إلى المعلِّمين، ولو كان من وراء الستار، ففيه فتنة أيضًا.

٣) لا ينبغي لمدير المدرسة، التعامل المباشر مع المعلمات والطالبات، وإنما يكون ذلك عن طريق زوجته، أو خالته أو

(٨٣) الأحزاب: ٥٣

ابنته، لأن التعامل المباشر سيغير المدرسة من مدرسة البنات إلى عشق البنات.

٤) ينبغي أن يكتفى للطالبات الصغار (من ٥ إلى ٩ سنوات) بقراءة القرآن نظرًا ثم حفظًا، ومن أرادت الالتحاق بالتعليم العالي، فلا بأس بذلك، لكن ينبغي أن ترَبّى الطفلة على الحجاب، والأولى أن تكتفي بالدراسات الأوّلية.

٥) ينبغي أن تعلَّم المرأة المتخرجة حقوق الزوج، وآداب التعامل معه، وينبغي أن يُبحث لها عن زوج عالم أيضًا، أو رجلا متديّنًا ولو كان طبيبًا أو مهندسًا.

٦) الالتزام التام بعدم تعامل الرجال مع النساء، وأما مدير المدرسة: فيطلع على أحوال المدرسة التعليمية عن طريق محارمه، ومن لم يستطع ذلك، فينبغي عدم تأسيس مدارس البنات أصلا، فعدم تأسيس هذه المدارس أولى من اختيار طريق المعصية، وقد أثبتت التجارب أن المحادثة مع النساء من خلف الستار، سببٌ لوقوع الفتن أيضا، وأن كثيرًا ممن كان يفعل ذلك، وقع في عشقهنّ، فالسلامة في الاجتناب عن كل هذه الأشياء، والله أعلم.

الحادي عشر: حكم طلاء الأظافر، وحمرة الشفاه

المرأة التي تستخدم طلاء الأظافر، لا تصح صلاتها ما لم يتم إزالته، لأن وجوده مانع لصحة الوضوء، وكذا حمرة الشفاه، فلا يصح الوضوء دون إزالتهما، ونصيحتي إلى كل امرأة: الابتعاد عن مثل هذه الأشياء المنكَرَة ما أمكن، ومن أرادت الزينة، فلتستعمل الحناء،

واتَّقِين الله في أنفسكن وأرواحكن، واتقين يومًا ترجَعين فيه إلى الله، فالموت حتم لا محالة، ومصيرنا إلى القبر جميعا، فاحذرن من طلاء الأظافر وحمرة الشفاه، فقد أخبِرت بأن النساء اللاتي يستعملن هذه الأشياء، يتوضأن عليها دون إزالتها، فمن فعلت ذلك منكن، فلا وضوء لها ولا صلاة.

الثاني عشر: قص الشعر كقص الرجال سبب الطرد عن رحمة الله

نجد كثيرًا من النساء في هذا العصر يقصصن الشعَر، كقصِّ الرجال، والنبي ﷺ قد نهى عن ذلك، ولعن فاعلَه، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))(٨٤).

الثالث عشر: حرمة كشف المرأة عن ساقها

يحرم على المرأة الكشف عن ساقها، لكن بعض النساء تطيلُ قميصها وتكشف عن ساقها، وإنما يجب على المرأة أن تستر عقبها أيضا، أما الرجال: فيجب عليهم الكشف عن العقب، ويحرم ستره، فكل من كشفت عن ساقها، فإنها ملعونة مطرودة عن رحمة الله، معرَّضة لنيل العقاب والعذاب، وأيُّ امرأة أتقى من أزواج النبي ﷺ، ومع هذا أمِرْن بعدم الإخضاع في القول، فقال تعالى:

---

(٨٤) صحيح البخاري (٥٨٨٥)، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء، والمتشبهات بالرجال.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾(٨٥)

أي: يحرِّضه على الزنا، والتفكر في الحرام، كما تفعله الآن بعض المذيعات تلين القول، فيطمع المريض فيهن، وكذا حال مذيعات المطار يخضعن في القول خضوعًا يلين إليهن قلوب المرضى، والمفترَض: أن لاتخضع بالقول، بل الأولى: أن لا تتوظف امرأة مسلمة في هذه الوظائف المنكَرة، التي تخالف حكمَ الشرع، ولا يتوافق مع طبيعة الإنسان المتحضرة، بل لا تقبل أيّ امرأة شريفة في قومها أن تتوظّف مثل هذه الوظائف.

الرابع عشر: الاحتجاب عن الحمو (أخ الزوج)

ويجب على المرأة: الاحتجاب عن أخ الزوج، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال:

((إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ))، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ الله، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: ((الحَمْوُ المَوْتُ))(٨٦).

أي: اتَّقِي الحمو، كما تتَّقِين الموت، وهذا فيه حثٌّ على غاية الحذر في هذا الباب، وللأسف فإن كثيرًا من الناس وقعوا في الفتن لعدم اجتنابهم عن هذا المنكر، بل يظن البعض أن زوجة أخيه بمثابة زوجته أيضًا، وأنّى هذا من الإسلام في شيء!! فالحذر كل الحذر، ولا تبالي بسخطه إن كان يسخط على ذلك، لكن لا تطلبي سخط الله في إرضاء الخلق.

---

(٨٥) الأحزاب: ٣٢

(٨٦) صحيح البخاري (٥٢٣٢)، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة.

اطلب رضا المنَّان *** وكن عبدًا للدَّيَّان

وارض بحكم الله *** خالقِ الأرضِ وَالعَنانِ

ويجب على الرجال أن يحجبوا نساءهم عن إخوانهم، ولا يبالون بسخطهم، لأن صلتها بالزوج لا بإخوانه، والله أعلم.

حكم الاحتجاب عن أخت الزوجة

وينبغي على الزوج أيضًا: أن لّا ينظر إلى أخت الزوجة ولا يتحدث معها، فأخت الزوجة أحيانًا تكون صغيرة، فيُخاف أن يقع في حبِّها ويفتتن بها، فيجب على الزوج أن لّا ينظر إليها ولا يحادثها، فكلها من الكبائر، وينبغي لأخت الزوجة أن تبقى مع أختها، ولا تظهر أمام زوج أختها، كما أنه لا يجوز له الاختلاء بها ألبتة.

الخامس عشر: حكم ستر الشعر

يجب على النساء ستر شَعرهن في الصلاة، وعن أنظار الأجنبيين عنها، فكل امرأة تصلي في خمار رقيق تصف شعرَها، فلا تصح صلاتها، وينبغي لكل امرأة تحس بالحرارة أو الاختناق في أيام الصيف، أن تخصص خمارًا للصلاة، بحيث لا يكون رقيقًا جدًّا يصف الشَّعَر، ولا غليظًا فيؤدي إلى الاختناق، فتلبسه للصلاة فقط، ثم تعلِّقه في مكان آمن بحيث لا يتلوَّث، فكلما دخل وقت الصلاة، ارتدت الخمار لأداء الصلاة فيه، ثم علَّقته في موضعه، وهكذا تفعل في كل صلاة.

السادس عشر: حرمة لبس الرقيق

من الكبائر أن تلبس المرأة لباسًا رقيقًا يصف صدرها، أو خصرها، أو رجلَها، لما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال:

((صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا))(٨٧).

السابع عشر: قبح خروج المرأة دون حجاب

لا ينبغي للمرأة أن تتبرج وتسفر عن وجهها أمام العامة، وإنما ينبغي أن تلبس النقاب كلما أرادت الخروج من البيت، ولاتخرج بدونه، بل لا ينبغي للمرأة أنتخرج من بيتها دون حاجة ماسَّة.

ولا ينبغي للطفلة في العاشرة من عمرها: أنتخرج بالزيّ المدرسي دون برقع، يقول معالي الشيخ التهانوي رحمه الله: ينبغي أن تعوَّد الطفلة على الحجاب من السابعة، فإذا وصلت إلى العاشرة، فلا ينبغي أنتخرُج بدون حجاب، ولسبب الإعراض عن هذه الإرشادات: كثرت الفتن في بعض البلدان، فتجد الفتيات يُغتصَبن في أماكن عامة، أو يختطَفْن لأماكن مجهولة، وفي البلدان الأوروبية، تجد البنت تفتتن بالمسيحي، أو الهندوسي، وتتزوج به، فهذا كله عقابٌ لترك الأمر بالحجاب.

وقد وجدت في بعض البلدان: أن فتاة وشابًّا يخرجان معًا إلى منتزَهات أو مطاعم، ويجلسان بمفردهما، ليتعرَّف بعضهما على بعض، ويتفقان على الزواج، تأثرًا بالمظاهر ـ قد تكون خادعة ـ، فكلها من المحرَّمات والكبائر.

---

(٨٧) صحيح مسلم (٢١٢٨)، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات، المائلات المميلات.

ولا ينبغي أن تسمح لابنتك بمثل هذه الأشياء المحرّمة، بل إنه يعتبر بمثابة تفويضها إلى الذئاب البشرية، ولأجل هذا أنصحُ الناس بقراءة الكتب المؤلفة في هذا الباب، كي يهتدوا إلى سواء الصراط.

الذي يجب على المرأة أن تحتجب عنهم؟

يجب على المرأة أن تحتجب عن ابن عمها وعمَّتها، وابن خالها وخالتها، لكن وللأسف! فإن بعض المتدينين لا يبالون بهذه الأشياء، فما بال غيرهم! وينبغي للمرأة ألا يكترث بمن يحول بينه وبين تطبيق الشريعة، فالاجتناب عن سخط الرب أولى من الاجتناب عن سخطهم.

وقد حصل لي ذات مرة: أني ذهبت إلى بلدة إله آباد، بعد ستة عشر سنة من الهجرة، فوجدت أن بنات خالاتي لا يمتنعن من التبرج أمامي، فغضبت عليهنّ وأمرتُهنّ بالاحتجاب، وعدم الظهور أمامي، لكني صرفت عليهن الهدايا، فأعطيت لكل طفل وطفلة صغيرة خمسة روبيات أو عشرة روبيات، وأعطيت للبنات الكبار: مائة روبية لكل واحدة، لئلا تظن إحداها أني أمرتهن بالحجاب خوفًا من العطاء، ولا تظن أن المتديِّن يستعمل هذه المكيدة هربًا من التصدق والإنفاق، فأنفقت عليهن، لأدافع بذلك عن عِرضي وديني، ففرحن جِدًّا بهذه الهدايا، واستمعن إلى نصائحي، فأخبرتهنّ بأني لا أزال على وُدهنّ، لكن لا خيار لنا أمام الشريعة، وحكمُ الشريعة: أن تحتجب المرأة من ابن خالتها، فلذا يجب عليكن أن تحتجبن عني.

وخلاصة الأمر: أن المرأة يجب عليها أن تحتجب من ابن عمها وعمتها، وابن خالها وخالتها، والله أعلم.

التوظيف من أهم الأسباب لإذلال المرأة

إن الإسلام احترم المرأة، فحافظ عليها، وستَرها عن بعض أقاربها عصمة لها، وجعلها ملِكة لبيت زوجها، لكن وللأسف! فإن بعض المسلمين لا يُقَدِّرُونها حق قدرها، فحاولوا إذلالها عن طريق توظيفها في المطارات والمحطات والطيارات والإذاعات، وأخرَجوها أمام الأجانب سافرة عن وجهها، ويسمونها المذيعات، أو المضيفات الجوية، ولكنها في الحقيقة صارت خادمة جويّة، التيتخدم الأجانب، وتلطِّف لهم الأصوات، وتخضع لهم القول، وأيُّ امرأة أتقى من أزواج النبي ﷺ، ومع هذا أُمِرْن بعدم الإخضاع في القول، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، أي: يحرِّضه على الزنا، والتفكّر في الحرام، كما تفعله الآن بعض المذيعات، فتلين القول، فيطمع المريض فيهن، وكذا حال المذيعات في المطار، يخضعن في القول خضوعًا، يلين إليهنّ قلوب المرضى، والمفترض: أن لاتخضع بالقول، بل الأولى: أن لا تتوظف امرأة مسلمة في هذه الوظائف المنكَرة، التي لا تتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية، ولا مع طبيعة الإنسان الراقي، ولا يمكن لأي امرأة شريفة في قومها، أن تتوظف في مثل هذه الوظائف، وأما الكفار: فليسوا بمكلَّفين أصلًا، فلا ينبغي تقليدهم في هذا.

دعاء الختام

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للعمل الصالح، وأن يوفقنا وأزواجنا وبناتنا للحجاب الشرعي، والامتثالِ لأوامر الشريعة

الإسلامية، وأن يبعِد عنَّا لعنة التلفاز المحرّم، والفيديوهات المحرّمة، ويطهِّر بيوتنا من هذه الرذائل، وأن يوفِّقنا لعدم إرسال بناتنا إلى المدارس بالتبرج والسفور، اللهم ارحم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه ما بقي من الإسلام إلا اسمُه، ولا من أحكامِه إلا رسمُه، فنرى النساء يمشين متبرجات سافرات، فيا رب ارزقنا الخوف منك، والتوفيق إليك، وتقبّل منا، ووفِّقنا وأبناءنا ونساءنا وبناتنا للعمل به، يا رب ارزقنا اليقين، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، يا رب ارزق بناتنا صلاحًا وتقوى، وارزقهنّ أزواجًا صالحين.

يا رب ومَن يوفَّق من الشباب للالتحاء، فوفِّقهم يا رب بزوجات صالحات، وارزقنا إخلاصًا في الإيمان، وسلامة في الأجساد، يا ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، لأنها مكان غربتنا، وآتنا في الآخرة حسنة، لأنها موطننا الحقيقي، يا ربّ العالمين، فإن الوالد لا يحب أن يتأذى أبناؤه في موطن غربتهم، ويحاول أن يوفِّر لهم أسباب الراحة والطمأنينة، ويبني لهم القصور والجنان في موطنهم، يا رب رحمتك بنا أكثر من رحمة الوالد لأولادهم، أنت الذي أرسلتنا إلى موطن غربتنا، فارزقنا يا رب حسنة وراحة في الدنيا، لنقضي حياتنا في طاعتك، ونجتنب معاصيك، فتصلح لنا جنتك، الذي هو موطننا، وارزقنا حسن الخاتمة، وأدخلنا وآباءنا وأمهاتنا، وأبناءنا وبناتنا، وإخواننا وأخواتنا الجنة بلا حساب ولا سابق عذاب.

يا رب ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وارزقنا عيش السعداء، والاستقامة على الدين، والحشر مع الأنبياء، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا

إنك أنت التوّاب الرحيم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميّتين، إنك على كل شيء قدير.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد، وآله وصحبه أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

حقوق الزوجين

إن من أهمّ أسباب الشقاق بين الزوجين: عدم معرفتهم بحقوق الآخر، وهو أهم سببٍ من أسباب التفريق والخصومة، فلذا ينبغي لكل واحد من الزوجين أن يعرف حقوق الآخر، ويراعي مصالحه، ويؤدي واجباته تجاهه، فإذا قصَّر في بعضها، فإنه يعترف بخطائه ويتداركه، وأستطيع أن أقول: لو التزم بها كلٌّ من الزوجين، فستنحل المشاكل الأسرية بأسرها، وسنشير هاهنا إلى أهم الحقوق الزوجية.

حقوق الزوجة على الزوج

١) التعامل معها بحسن الخلُق.

٢) الصبر على ما يصدر منها من الأذى، والتعامل معها برفق في بيان الأخطاء، والتماس تصحيحها، واجتناب الغضب في ذلك.

٣) الاعتدال في الغيرة، فلا يتغافل عنها كليًّا، ولا يتجسس عليها.

٤) الاعتدال في النفقة عليها، فلا يضيِّق عليها في النفقة، ولا يسمح لها بالإسراف والتبذير.

٥) تعليمها أحكام الحيض والنفاس، وأحكام الصلاة، والأمر بالمواظبة على الدين، والاجتناب عن البدع والمنهيات.

٦) إقامة العدل بين الزوجات، إذا كان له أكثر من زوجة.

٧) وطؤها بحسب الضرورة والاشتهاء، لكي يحصل لها العفاف.

٨) توفير السكن المناسب لها.

٩) السماح لها باللقاء مع أقاربها، بما لا يؤثر على حياتهم الزوجية.

١٠) عدم إفشاء أسرارها للآخرين.

١١) الامتناع عن ضربها إلا بالقدر الذي سمحت له الشريعة، لأجل التنبيه وغيرها.

حقوق الزوج على الزوجة

١) طاعة الزوج في الأمور المباحة، وعدم طاعته في معصية الله.

٢) عدم المطالبة في ازدياد النفقة التي لا يتحملها.

٣) عدم السماح بدخول أحد في بيته دون إذنه.

٤) عدم الخروج من بيت زوجها إلا بإذنه.

٥) عدم إنفاق ماله ـ ولو كان في وجه حق ـ إلا بإذنه.

٦) عدم التطوع بالنوافل والصيام إلا بإذنه.

٧) عدم الامتناع من المباشرة الزوجية، إذا طلب الزوج ذلك، إلا لعذر شرعي.

٨) عدم احتقار الزوج لفقره، أو دمامته.

٩) مراعاة الأدب في منع الزوج عن ارتكاب المنهيات.

١٠) عدم استعمال اسمه في حالة النداء، وإنما تلقبه بأبي فلان مثلا.

١١) الامتناع عن فضح أسراره أمام الآخرين.

١٢) عدم إطالة اللسان، والفحشِ معه في الكلام.

١٣) احترام أبوَيه، وتعظيمهما كتعظيمها لوالديه، وعدم إيصال

الأذى إليهما، بأي شكل من الأشكال.

المرأة الصالحة في ضوء القرآن والسنة

إن المرأة الصالحة في ضوء القرآن الكريم: هي التي تقبل الرجل حاكمًا عليها، وتقبل بطاعته، وتلتزم بجميع حقوقه وتراعيها، وتصون نفسها عن الحرام، ومالَه عن الضّياع في حِلِّه وترحاله، فلا ينبغي أن تراعيَ ذلك في وجوده، ثم تتفرط في غيابه، فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي النساء خير؟ قال: ((التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره))[٨٨].

والله سبحانه وتعالى أعلم، وعلمُه أتمّ وأحكم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٨٨) مسند أحمد (٩٦٥٨)، سنن النسائي (٣٢٣١)، كتاب النكاح، أي النساء خير، المستدرك للحاكم (٢٦٨٢)، وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

عنوانات

اِنَّمَا الدُّنْیَا لِاَرْبَعَۃِ نَفَرٍ

وَعَنْ اَبِیْ کَبْشَۃَ الْاَنْمَارِیِّ اَنَّہٗ سَمِعَ رَسُوْلَ اللہِ صَلَّی اللہُ عَلَیْہِ وَسَلَّمَ یَقُوْلُ: ثَلٰثٌ اُقْسِمُ عَلَیْہِنَّ وَاُحَدِّ ثُکُمْ حَدِیْثًا فَاحْفَظُوْہُ. فَاَمَّا الَّذِیْ اُقْسِمُ عَلَیْہِنَّ فَاِنَّہٗ مَانَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِّنْ صَدَقَۃٍ وَّلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَّظْلِمَۃً صَبرَ عَلَیْھَا اِلَّا زَادَہُ اللہُ بِھَا عِزًّا وَّلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْئَلَۃٍ اِلَّافَتَحَ اللہُ عَلَیْہِ بَابَ فَقْرٍ وَاَمَّاالَّذِیْ اُحَدِّثُکُمْ فَاحْفَظُوْہُ ،فَقَالَ: اِنَّمَا الدُّنْیَالِاَرْبَعَۃِ نَفَرٍ ،عَبْدٍ رَزَقَہُ اللہُ مَالًاوَّ عِلْمًا فَھُوَیَتَّقِیْ فِیْہِ رَبَّہٗ وَیَصِلُ رَحِمَہٗ وَیَعْمَلُ للہِ فِیْہِ بِحَقِّہٖ. فَھٰذَا بِاَفْضَلِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدٍ رَزَقَہُ اللہُ عِلْمًا وَّلَمْ یَرْزُقْہُ مَالًا فَھُوَ صَادِقُ النِّیَّۃِ یَقُوْلُ لَوْ اَنَّ لِیْ مَالًا لَعَمِلْتُ فِیْہِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَاَجْرُھُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٍ رَّزَقَہُ اللہُ مَالًا وَّلَمْ یَرْزُقْہُ عِلْمًا فَھُوَ یَتَخَبَّطُ فِیْ مَالِہٖ بِغَیْرِ عِلْمٍ لَّایَتَّقِیْ فِیْہِ رَبَّہٗ وَلَا یَصِلُ رَحِمَہٗ وَلَایَعْمَلُ فِیْہِ بِحَقٍّ فَھٰذَا بِاَخْبَثِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ لَّمْ یَرْزُقْہُ اللہُ مَالًاوَّلَا عِلْمًا فَھُوَ یَقُوْلُ لَوْ اَنَّ لِیْ مَالًالَّعَمِلْتُ فِیْہِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَھُوَ نِیَّتُہٗ وَوِزْرُھُمَا سَوَاءٌ - رَوَاہُ التِّرْمِذِیُّ وَقَالَ ھٰذَا حَدِیْثٌ صَحِیْحٌ

(جامع الترمذی:٢/ ٥٧،کتاب الزھد، باب ماجاء مثل الدنیا مثل اربعۃ نفر)

سند اجازت الحدیث

عن سیدنا ونبینا و هادینا محمد صلی اللہ علیہ وسلم

عن الشیخ سیدنا سلمہ بن الاکوع رضی اللہ عنہ عن الشیخ سیدنا عبد اللہ بن بسر رضی اللہ عنہ عن الشیخ امام حریز بن عثمان رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ امام عصام بن خالد رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ ابو عبد اللہ محمد بن اسماعیل بخاری رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ ابو عبد اللہ محمد بن یوسف فربری رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ محمد عبد اللہ بن احمد السرخسی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ عبد الرحمن بن مظفر داؤدی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ عبد الاول بن عیسیٰ ہروی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ حسین بن مبارک زیدی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ ابو العباس احمد بن ابی طالب حجاز رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ ابراہیم بن احمد تنوخی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ شہاب الدین احمد علی بن حجر عسقلانی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ زین الدین زکریا بن محمد انصاری رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ شمس الدین محمد بن احمد رملی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ احمد بن عبد القدوس شناوی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ احمد بن محمد قشاشی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ ابراہیم بن حسن کردی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ ابو طاہر محمد بن ابراہیم رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ الامام ولی اللہ الدہلوی رحمہم اللہ تعالیٰ عن الشیخ عبد العزیز الدہلوی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ محمد اسحٰق الدہلوی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ أبی سعید الدہلوی المدنی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ عبد الغنی المجددی الدہلوی رحمۃ اللہ علیہ عن قطب العالم الشیخ رشید احمد الجنجوحی رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ ماجد علی الجونفوری رحمۃ اللہ علیہ عن الشیخ عبد الغنی الفورفوری رحمۃ اللہ علیہ

سماحۃ الشیخ العالم الربانی العارف الحکیم محمد اختر رحمۃ اللہ علیہ

لا شكَّ أنَّ الزواجَ من أعظم النِّعم الربانية، والمننِ الإلهية، التي امتنَّ الله بها على عباده، وجعل تعالى كلًّا من الزوجين رفيقًا للآخر، وجعل لكلٍّ منهما حقوقًا، لتتكوَّن بذلك أسرة مثالية؛ تضمن لكل فرد من أفرادها حقوقًا ومبادئ عادلة.

لكن الابتعادَ عن الدين تسبَّب في قلب هذه الموازين، وجعل هذه الحياة حياة نكدٍ وشقاء وتعب، فصارت الحياة أشبه بحياة الجحيم ـ والعياذ بالله ـ، حتى وصل الأمر في بعض الأحيان إلى الطلاق، وتفريق الأسَر بعد ائتلافها، مما يسبِّب عداوة دائمة بينها، تجعل كل أسرة منها عدوًّا للأخرى، مما يؤدي إلى الانهيار الأسَري، والتشتت الفكري، ولا تقتصر آثاره السلبية على طبقة واحدة من المجتمع، بل يتعدى ذلك إلى من دونهم.

وهذه الرسالة تشتمل على المواعظ الثلاثة (الحياة الزوجية السعيدة ـ حقوق النساء ـ حقوق الرجال) لمعالي الشيخ الحكيم محمد أختر رحمه الله، وتشتمل على ما يتعلق بإصلاح المعاشرة الزوجية، وتحويل البيت المسلم من الجحيم إلى النعيم، وكانت هذه الرسالة سببًا في تأليف كثير من القلوب المختلفة، وتقريب الأفئدة المتباعدة، وذلك بفضل الأسلوب المشفق التي اختاره شيخنا ومرشدنا ـ رحمه الله ـ في بيان الأحكام الزوجية السعيدة، والقصص المؤثِّرة في هذا الباب.

AT031